من هو اليهودي؟!

د. عبد الوهاب المسيري
من هو اليهودي؟!
من هو اليهودي؟!

دار الشروق
مقامات

أوردت وكالات الأنباء الخبرين التاليين في شهر إبريل 1997:

1 - تنوقع السلطات الإسرائيلية أن تشهد مدينة القدس اضطرابات وعمليات إلقاء حجارة... ولم يجب إلقاء الحجارة من جانب الفلسطينيين هذه المرّة وأثماً من جانب اليهود المتدينين. والمكان المتوقع حدوث الاضطرابات فيه هو شارع بار ايلان، وهو أحد الشوارع الرئيسية في القدس الغربية ويمتد من وسط المدينة إلى شمالها ويربط ب-yyyy مياشعامر، وبعض فيه اليهود الأرثوذكس الذين يحكمون على نسائهم وبناتهم بأن يلبس الملابس الحشمة الغضفاضة، وأن يحذروا شعرهم وبواسطة ابشار ولا يختلطون بالفس.Methods.set

2 - أكدت الإذاعة الإسرائيلية أمس الأحد أن جندياً يهودياً أتى بجهاز تابعاً لإحدى الوحدات الخاصة في الجيش الإسرائيلي طرد من عبادته من قبل ضابط أدى إلى معركة عنصرية. وأوضحت الإذاعة أن الجندي التابع لوحدة جولاني كان منذ شهر في الخدمة في قطاع حرمون وقام ضابط بطرد من العبادة هكذا أمام طبيب عسكري وعدد من الممرضات أن السوس لا يحق لهم العلاج. وأضاف الضابط مخاطباً القادة في العبادة أن ينبغي تعليق لافتة عند الدخول توضح أن دخول السويس ممنوع. هكذا كانت العادة المتبعة عندنا في المستوطنات.

وقد ورثت محكمة عسكرية بالمقبرة العنصرية للضابط، وقال شاي بازاك، المتحدث باسم رئيس الوزراء الإسرائيلي، للصحفيين إن نانباوره صدر، بهذه القضية ويعتبر السويس للتقريب بين مختلف المجتمعات في الجيش الإسرائيلي عن طريق التعليم. وقد طال布 الأمين العام للمنظمة الوحدة لليهود الأثيوبيين.
شلوف مولى، باقالة الضابط مؤكدا أمام الصحافيين أنه "حتى في جنوب أفريقيا لم تعد تُستخدم عبارات عنصرية من هذا النوع". وكان اليهود الإثيوبيون قد عبروا عن قلقهم لإندماج ثلاثة من أفرادهم، كانوا يخدمون في الجيش الإسرائيلي، على الالتحار. وقال مولى إن "اليهود الإثيوبيون لا يشكلون سوى 4% من عدد أفراد الجيش ولكنهم يشكلون 10% من الجنود الذين ينتدبون كل عام". وأضاف أن "معظم حالات الالتحار هذه ناجمة عن المعاملة السيئة والعنصريّة، خصوصاً على مستوى القيادة المباشرة، التي يتعرض لها اليهود الإثيوبيون في أغلب الأحيان أثناء خدمتهم العسكرية. واتهم النائب عن حزب العمل، إدبوس ماسالا، وهو أول نائب من أصل إثيوبي، الجيش "بتخاذل موقف مبزيز من اليهود الإثيوبيين".

والخبران هما جزء من نمط عام من الأخبار المماثلة التي ألقيها قراء الصحافة الإسرائيلية وال펴قات المشهد الإسرائيلي. وهم يثيران قضية تباع الغاية في الخطوة والأهمية، هي قضية الهوية، الدينية والإثيوبية، اليهودية، والتي يشار لها في الخطاب السياسي والإعلامي، الإسرائيلي والغربي، بعبارة "من هو اليهودي؟".

وهل أولى الخطوات التي تتخذها آية حركة بعث قومي أو حركة تحرر وطني هي تحديد من "نحن" ومن "هم". أي من يقع داخل نطاق الهوية ومن يقع خارجها؟ وهذه الخطوة ليست اكاديمية أو حماسية أو مجرد ديباجة تبريرية وإنما هي من صميم الفعل السياسي، إذ أنها خطوة ضرورية لصياغة المشروع، بجميع جوانبها النظرية والسياسية والاقتصادية، وللتعرف على سياسته، من سيستعيدوه، ومن الصديق ومن العدو، وما حدود الدولة، وما هو تهجمه، وما سيناديه، وما يحق له الهجرة إلى يهودي، وهكذا. وقد طرحت الصهيونية نفسها اعتبارًا حركة تحرير الشعب اليهودي، وأعلنت أنها في واقع الأمر، هي القومية اليهودية، وأن اليهود شعب واحد يندمج داخله كل أعضاء الجماعات اليهودية، وإن ثمة تاريخًا يهوديًا واحدًا يدورون جميعهم في إطاره.

وانطلاقاً من هذا، زعم الصحافين أن هذا الشعب اليهودي شعب منفي، تربطه علاقة عضوية أزلية بترتيل الميعاد، أي ارض فلسطين، وأن ارض فلسطين نفسها، خالية جرارة تنظر وصول بعض أعضاء هذا الشعب. ثم طرح الصحافية الخلصي الصحوي للفنادقة اليهودية: "نقل أعضاء الشعب اليهودي المنفى الذي لا يرضيه إلى أرض جرارة لا يعيش فيها أحد، فينطبؤ فيها وليؤسسوا عليها الدولة".
اليهودية الصهيونية، أو أنهم طرحوا الشعارات الصهيونية الإرهابيًا: "أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض". ثم أسست الدولة الصهيونية الاستيطانية الإحلالية، بالفعل، وتتم تشريد العرب، وبدأ مسلسل العنف الذي لم ينته بعد، والذي لا يمكن أن ينتهي طالما بقيت بنية الظلم الصهيونية، وما بين بنية الاقتباس الصهيونية ومقاومة العرب لها، نشب الصراع العربي الصهيوني.

ولكن هناك صراع آخر نشب داخل الدولة الصهيونية نفسها بين الصهاينة أنفسهم بشأن الهوية القومية لسكان هذه الدولة اليهودية. فنشبت صراع بين دعاة الصهيونية الدينية ودعاة الصهيونية العلمانية بشأن مصدر اليهودية اليهودي: هل هو التطور التاريخي والتراث اليهودي والانتماء العرقي، أم أنه الاختيار الإلهي والتاريخ اليهودي المقدس؟ كما نشب صراع بين يهود الشرق والغرب، وُطرح السؤال التالي: هل اليهودي هو اليهودي الإشكالي الأبيض وحده، أم أن مقولة اليهود تشمل يهود العالم كافة بما في ذلك السفارد واللغاش؟ وعجل حسم الخلاف، واتفاق الجميع على الإشارة مؤقتًا لكل أعضاء الجماعات اليهودية، بكل تنوعهم الحضاري، وانعدام تجانسهم العرقي، على أنهم "اليهود" أو "الشعب اليهودي" بشكل عام مطلق مع التزام الصمت تجاه رقعة الخلاف. وقد ظلت حالة اللاحراب واللاسلم الهملاطية هذه سائدة حتى إقامة الدولة حين صدر قانون العودة الصهيوني الذي يعني لاي يهودي الحق في الاستيطان في فلسطين استنادًا إلى "يهوديته" التي لم يتم تعريفها! وهذا تم وضع قضية الهوية اليهودية (وضاحياً أخرى مثل "الشخصية اليهودية" و"وحدة الشعب اليهودي") على المحك.

وقد يقول قائل إن هذه الإشكالية من "مخلفات الماضي"، وأنها من الأمور الشكلية غير العملية ولن تؤثر في سلوك المستوطن الصهيوني من قريب أو بعيد. ولكن مثل هذا القول سيكون من قبيل تطبيقات النشوء السياسي الصهيوني، أي النظر إليه كما لو كان نسقاً سياسياً عادياً وليس كياناً إستيطانياً إجمالياً، له طوره الخاص. فتعريف اليهودي مسألة أساسية للفرد الاجتماعي الصهيوني. فإذا كان تعريف المسيحي، على سبيل المثال، في الولايات المتحدة مسألة شكلية، فإن هذا يعود إلى أن حكومة الولايات المتحدة لا تبحث عن شرعية مسيحية، ذلك أن مصادر شرعية تقع خارج نطاق الديانة المسيحية، بل ورغم خارج التراث المسيحي ككل. أما الدولة الصهيونية فهي تدعي أنها يهودية وأنها تجسد قيمًا
(إثنية دينية أو علمانية) يهودية، وأنها استمرار للدولة اليهودية القديمة (ولذا يطلق الصهاينة على إسرائيل اصطلح "الهيئة الثالثة")، وأنطلاقاً من هذا، تطلب الصهيونية من اليهود الانسحاب حولها ودعمها، و باسم هذه الهوية اليهودية المزعومة تقوم أيضًا بضم الاراضي. ولذا فالفشل في تعريف اليهودي يضعف مقدراتها التعبوية، بل ويضرب أسطورة الشريعة الصهيونية في الصميم والصهاينة أنفسهم يدركون هذا تمام الإدراك، ومن هنا إصرارهم على ما يسمونه "تهويد" كل شيء في فلسطين: التاريخ، والآثار، واسماة القرى والمدن، وأخيراً تغيير اسمها هي نفسها، فتصبح فلسطين، بعد غزوها واحتلالها والإستیطان فيها، "إسرائيل". بل وتسع الشهوة وتزيد الشبهة وتسمى أراضي الضفة الغربية "هبوذا والسمرة"، ويعاد تسمية هذه الراضي التي أحتلت وتلك التي يستهدفون احتلالها (ضفتي نهر الأردن) من النيل إلى الفرات "أرض يسرائيل". وكما قال بيجين لأعضاه كيبورس عين هارود: "لقد كانت هذه هي فلسطين، ليست إسرائيل، إذن فانتم غزاة ولستم مزارعين يفلون الأرض، إذا كانت هذه هي فلسطين، فهي إذن تنتمي للشعب الذي عاش هنا قبل أن تأتي إليها. لن يكون لكم حق العيش هنا إلا إذا كانت هذه أرض إسرائيل".

إن قضية تعريف اليهودي قضية دينية وسياسية، بل وقضية مصيرية تنصب إلى رؤية العالم والذات إلى الأساسي الذي يستند إليه تضامن المجتمع وإلى مصادر شرعيته. ولعل أكبر دليل على هذا أن القضية قد أثيرت بشكل دائم في الكيان الصهيوني منذ تأسيسه، وهي تُطرح وبشكل حاد مرة أخرى هؤلاء الأيام. ولا يوجد أي حل لهذه القضية، كما أن هذه الدراسة، مفكرة أن اليهود يشكلون شعبًا لا أرض له، لا تقبل في زيفها وكذبها عن أن فلسطين أرض لا شعب لها. وإذا كان الشعب العربي الفلسطيني يقاوم هذه الأكاذيب، وبثبت من خلال اشكال النضال كافة أن فلسطين أرض عربية، ماهولة بسكانها العرب، فإن الواقع الإثني والعروقي للمستوطنين الصهاينة في فلسطين المحتلة، وللمجتمعات اليهودية خارجها، يتحدى الاترواحات الصهيونية ويبين طبيعتها الاختزالية وزيفها وكذبها، والله أعلم.

عبد الوهاب المسبب
دمنحور - القاهرة
يونيو 1997
من هو اليهودي؟

"من هو اليهودي؟" سؤال يُثار من آونة إلى أخرى داخل الكيان الصهيوني.
ويُعتبر هذا السؤال عن فشل الإسرائيليين في تعريف "الشخصية اليهودية" أو "الهوية اليهودية".

ومصطلح "الشخصية اليهودية" في اللغة العربية مأخوذ من لفظ "شخص".
ويعني مجموعة الصفات التي تميز هذا الشخص. أما في الأصل الأوربي، فإن المصطلح مأخوذ من اللفظ اللاتيني "Personam"، وهو القناع الذي يرتديه الممثل ليعبر عن السمة الأساسية للشخصية التي يؤديها. "الشخصية" هي صيغة منظمة نسبية لمجموعة من الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوية والإدراكية التي تميز الفرد عن غيره من الأعضاء.
ويُفترض أن الشخصية الفردية، في جوانب عديدة منها، هي نتيجة عملية تفاعل مرتبة بين الإنسان الفرد من جهة، وبيئته مجتمعا وثقافته وتاريخه وبيئته الطبيعية الاجتماعية من جهة أخرى.
ومن هنا، يتحدث بعض العلماء عن الشخصية القومية، وهي شخصية تنتج من عملية تفاعل تمتد ردحاً من الزمن بين جماعة من الجماعات البشرية من جهة، وتشكل اجتماعيا وتاريخيا وبيئة طبيعية من جهة أخرى.
ومن خلال الامتداد الزمني تكتسب هذه الجماعات سمات معينة وهوية محددة تصبح ثابتة أو شبه ثابتة يُفترض أنها تميزها عن غيرها من الجماعات البشرية الأخرى. ومصطلح "الشخصية اليهودية" مصطلح يُفترض أن ثمة شخصية قومية يهودية ذات سمات مميزة وثابتة.

أما كلمة "هوية" فهي اسم منقول من المصدر الصناعي "هوية" المأخوذ من كلمة "هو". وتعني: مجموعة الصفات الجوهرية والثابتة في الأشياء والأحياء. فكان مصطلح "هوية يهودية" يعني أن ثمة جوهرًا يهوديًا ثابتًا بسم أعضاء...
المجتمعات اليهودية أيضا كانوا يمنحهم شخصيتهم اليهودية المحددة، ويفرقون
عما سواهم من البشر. وغني عن القول إن هذا المصطلح، مثل مصطلح
الشخصية اليهودية، يعبر عن نموذج اختزالي لا يتفق كثيراً مع الحقيقة
tاريخية المعنية ولذلك فمقدراته التفسيرية ضعيفة للغاية. وبشكل استخدام
مصطلحات مثل "شخصية بيهودية" و"هوية بيهودية" تبيناً غير واحد للنماذج
tفسيرية الاختيارية، الصهيونية والمادية للبيهود، التي تفترض وجود طبعة
بيهودية ثابتة وعينية بيهودية وحزمة بيهودية ووجود سمات أساسية للشخصية
البيهودية. فهي من منظور المعادين للبيهود عقيمة مناداة عدائية استغلالية
ومنحلة، وهي كذلك شخصية تجارية بطيئها، أما الصهيونية، فينسبون إلى هذه
الشخصية البيهودية مستقلة سمات إيجابية، فالبيهودي يتسم بالإبداع والمقدرة
على الانسجام من مجتمع الآخرين، وهو يدافع عن نفسه ضد العنف لكنه لا
يرتكب العنف أبداً ضد الآخرين، وهاكما. ومن المسائل الأخرى التي تُستَب
إلى الشخصيات البيهودية حينها للكتك، ومقدراتها النقدية أو حساسها النقدي.
ويؤسس الصهيونية نظريتهم في القومية اليهودية والشعب اليهودي انطلاقاً من
تأكيد وجود هذه الشخصية اليهودية. كما أن الصهيونية العمالية تشوف الشعب
البيهودي بأنه شعب طفيل من السماحة.

فإذا اختبرنا النموذج الكامن وراء مقولات مثل "الشخصية أو الهوية اليهودية
الثابتة الواحدة" فإننا سنكتشف مدى قصوره، فأعضاء المجتمعات اليهودية ليسوا
تجارًا بطبعهم، إذ عمل العبرانيون بالزراعة في فلسطين، كما كان منهم الجنود
المتزوجين في الإمبراطوريتين اليونانية والرومانية، ومعظمهم الآن من المهجرين في
الغرب. وهم ليسوا متآمرين بطبعهم، بل وسطهم ضحايا للتل amoar، لكن هذا
لا يمكن وجود متآمرين وتجار بينهم. وهم ليسوا متآمرين في كل زمان ومكان، إذ
كانت هناك أزمة وامكاني استمكانت فيها إعضاء المجتمعات اليهودية بأحداث
الغضب وتم تعرف بينهم ظاهرة مثل ظاهرة الأطفال غير العشريين.

وهناك خلل يتمثل في الحديث عن اليهود بشكل مجرد، فمن يعود أن ينسب
العبري إلى الهوية أو الشخصية اليهودية سيعد قراءت على ذلك في مكان زمان
معينين، ومن يعود أن ينسب إليهم التآمرية سيعد أيضاً قراءت على ذلك في مكان
زمان آخرين، ثم يتم تعميم الجزء على الكل. وهذا ما يقوم به الصهيونية، عن
وعي أو عن غير وعي، حينما يتحدثون عن الشخصية اليهودية أو عن الهوية اليهودية.

ولكن الشخصية (أو الهوية) كمصدر في مجموعة من البشر ومركبة من الظروف التاريخية والبيئية الثالثة على مدى زمني معقول، وهو الأمر الذي لم يتوفر إلا للعبرانيين، ولم يتوفر للمجتمعات اليهودية التي انتشرت في بقاع الأرض المختلفة وعاش تحت ظروف اجتماعية مختلفة. ولذا، نرى أنه يجب الابتعاد عن التعميم المتعمد والكلف عن استخدام صيغة "الشخصية اليهودية" المبتعدة بدلاً من ذلك عن "الشخصيات اليهودية" أو "الهويات اليهودية". وصيغة الجمع لا تشعر بالخصائص اليهودية، ولكنها لا تجمع بينها وكان هناك صفة جهوية أو عالمية كامنة في كل اليهود. ومن هنا، يمكننا أن نتحدث عن الشخصية (أو الهوية) اليمنية اليهودية في أواخر القرن التاسع عشر، أو الشخصية الأشورية اليهودية في القرن التاسع، أو الشخصية الأشكنازية في إسرائيل، أو الشخصية السفاردية من أصل سوري في أمريكا اللاتينية. ويمكن دراسة تطور هذه الشخصيات اليهودية الثقافية والمتنوعة والمختلفة بدراسة سماتها المحددة من زمنية وأمكاني مختلفة. وفي هذه الحالة، ستكتشف أن حب النكتة ليس خاصية لصيغة بالشخصية اليهودية. فاللوقا اليهودي (حتى القرن التاسع عشر) يُحمر النكتات، كما أن هجاء الخناقات أمر لم يكن مسموحاً به. وجد أن حب النكتة هذا ظاهرة مقتصرة على يهود أوروبا في القرن التاسع عشر ولم ترتبط بضعف مؤسساتهم الدينية والاجتماعية. ولم يكن الحس النقدي ولا المستوى العلمي الرفيع معرفياً بين أعضاء المجتمعات اليهودية في أوروبا حتى القرن الثامن عشر، إذ حرمت قيادتها الدينية قراءة كتب الفلسفة اليهودية ودواوين الشعر العبري الدنيوي، كما حرمت دراسة اللغات الأجنبية ودراسة الدراسات واللغات والدراسات والتاريخ ولم تستثن من ذلك توازي الخناقات اليهودية. وكان الجهل باللغات عميقاً إلى درجة أن الخناقات كانوا عازين عن تحديد اتجاه القدس. ولكن مع ذمار اليهود في الحضارة الغربية وتزايد معدلات العثماننة بينهم، وانفتاح قبضة المؤسسات الخماشية التقليدية، تأثّرت أعضاء المجتمعات اليهودية في الغرب في العصر الحديث ناصية العلم الحديث، فظهر العلماء وظهر الحج النقدي، وظهر الإحساس بالنكتة. 

11
وًما تَجَدَّد ملاحظاته أن كثيراً من الأدبيات الصهيونية والغربية، حينما تتحدث عن الشخصية اليهودية أو الهوية اليهودية، تشير عادةً إلى تجربة تاريخية محددة وهي تجربة يهودية بديشية، أي الجماعة اليهودية في شرق أوروبا والتي كانت تشكل جماعات وظيفية يتحدث أعضاؤها بديشية، ويعيشون في الظروف الاقتصادية والاجتماعية نفسها، وفي المحيط الحضاري السلافي (الموسيقى) نفسه، وهو ما أفرز شخصية يهودية شرق أوروبا يمكن أن نُسمى "الشخصية الباردية" تحدد ملامحها لا من خلال تشكيل تاريخي يهودي عالمي إلا من خلال التشكيل الحضري الشرق أوربي. وقد أكد أثر روبن في كتابه "اليهود في الوقت الحاضر" أن كلمة "يهودي" تعني بالنسبة إليه "آشنازي" ولا تضم اليهود السفاردي أو الشرقيين. ورغم أن يهود البارد كانتا يشكلن الغالبية الساحقة من الجماعات اليهودية في العالم في نهاية القرن التاسع عشر (حوالي 80%) إلا أن هذا لا يجعل منهم شخصية يهودية عالمية، إذ أن هذه الشخصية الباردية القومية هي ثمرة تفاعلات الجماعة اليهودية مع المجتمعات الشرق أوربية في بولندا وروسيا داخل تركيبة اجتماعية وثقافية محددة. ويبين مشروع حزب البوست السياسي من الإيلان بوجود شخصية يهودية قومية شرق أوروبا، لا شخصية يهودية عالمية، ولذا كان الحل المطروح هو تطوير هذه الشخصية الباردية دون الانزلاق إلى اتباع تعقيدات تجريدية. وقد تبنت روسيا السوفيتية هذا الحل في نهاية الأمر بعد أن رفضه لبنين في بدايته، كما تتجلى ملامحه في تجربة بروبينجان.

وقد اختفت الشخصية الباردية مع التحولات الاجتماعية الضخمة التي حدثت في مجتمعات شرق أوروبا، ولم يكن لها الاستمرار. وبدأ أن المكون الأساسي لهذه الشخصية مرتبطًام بالوظيفة الاجتماعية للجماعات اليهودية كما تشبّه شخصياتها المستقلة ليست ضمن المجتمع عزلتها ومن ثم مُغِيرتها على أداء وظيفتها. وقد تحولت الباردية من جماعات شبه قومية متصلة إلى جماعات مختلفة: يهود روسيا ويهود أوروبا، يهود بولندا ويهود أوروبا، يهود أوروبا ويهود أوروبا الأوركانيا، أما يهود الباردية الذين استقروا في ألمانيا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة فقد اندمجوا في مجتمعاتهم وتحديد ألقاها. 

ومن المفارقات المهمة أن الصهاينة الذين يجدون الشخصية اليهودية يقومون
في الوقت نفسه بالهجوم عليها ورفضها، فهم يرون أن هذه الشخصية مريضة وهامشية. وعند هذه النقطة أيضًا، ينتفي الصهاينة مع المعادين اليهود، بل إن الصهابنة استفادوا نقدهم للشخصية اليهودية من أدبيات معاداة اليهود. ويطرح الصهابنة فكرة الشخصية اليهودية الحقيقية بوصفها شخصية يهودية خالصة عبرت عن نفسها من خلال الكيان اليهودي القومي سواء في الكولنث الأول أو الثاني، وهي تُعبر عن نفسها من خلال الكولنث الثالث، أي الدولة الصهيونية. لكن دارس هذه الدولة يعرف أن علم الاجتماع الإسرائيلي قد تقبل، كحقيقة شبه نهائية، انقسام أعضاء التجمع الصهيوني إلى جماعات يهودية لكل شخصيتها المستقلة التي تكونت عبر مئات السنين في المنفى، أي في أنحاء العالم.

ورغم استخدامنا مصطلح "شخصية" في هذه المقدمة، إلا أننا سنناقش الإشكالية مستخدمين كلمة "هوية" بحسب شعبها في الأدبات التي تناقش الموضوع، إذ أن كلمة "شخصية" عادةً ما تعني "شخصية قومية"، بينما نستخدم كلمة "هوية" دائماً في عبارات مثل "هوية إثنية". ولا شك في أن الصهابنة يفضلون كلمة "هوية" ليمكن استخدامها في الإشارة إلى يهود إسرائيل إلى أعضاء الجماعات اليهودية في العالم. فهي كلمة لن تسبب حرجاً ليهود الولايات المتحدة التي تقبل الهويات الإثنية طالما أنها لا تعارض مع الانتماء القومي. أما كلمة "شخصية"، فهي باستدعائها فكرة الشخصية القومية، ستسبب الكثير من الخرج والفرقة.
البويات اليهودية
بصفتها تكويناً جيولوجيًا تراكميًا

هذا الموضوع المثير/الهويات اليهودية في غاية التركيب لأسباب عديدة يمكن أن نورد بعضها فيما يلي:

1- تم تطبيق الهويات اليهودية على أساس ديني، وعلى أساس قومي ديني، وعلى أساس قومي وحسب. وقد دارت معارك بين أعضاء الجماعات اليهودية خصوصاً منذ نهاية القرن التاسع عشر) حول رؤيتهم لهويتهم وتعريفهم لهذه الهوية.

2- لا تتفق رؤية الإنسان لهويته على صورة حتمية وباشرة، مع ممارساته العملية وواقعه واقعه. فالرؤية قد تكون تعريفاً عن مثل أعلى أو عن مجموعة من الرغبات، أما الواقع فإنه يتطور بطريقة لا تتفق بالضرورة مع رغبات الإنسان. ومن ناحية أخرى، فإن رؤى أعضاء الجماعات اليهودية للهوية اليهودية لم تكن تتفق بالضرورة مع تطور واقعهم التاريخي، بل وتأتى تنافض أحياناً الواحدة مع الأخرى.

3- ولكن هذا لا يعني أن رؤية الإنسان لهويته لا تنتهي في تحديد سلوكه، إذ تظل الرؤية، رغم عدم اتفاقها مع الواقع، عنصرًا مهمًا ومؤثرًا في هذا السلوك، دون أن تكون بالضرورة العنصر الوحيد له.

4- تعددت الهويات اليهودية المختلفة في غياب سلطة يهودية مركزية، دينية أو دنيوية، عبر الاحتكاك مع عارات التشكيلات الحضارية ومن خلالها، الأمر الذي بُنِجَع عنه تدُوُعُ هائل في الهويات اليهودية. وتتسم هذه الهويات بانتشار نسبي عن سياقها الحضاري، منها شان هويات الجماعات الأثرية والدينية، ولكنها في الوقت نفسه لا تستقى إلى هوية يهودية واحدة عالمية. ومع هذا، فقد استمر الجميع (اليهود وغير اليهود) في الحديث عن اليهود كلاً واحدًا.
لكن هذا، ظهر ما نسميه "التركيب الجيولوجي التراكمي" للهوتات اليهودية.
وفي حينما غرب النسق الديني اليهودي ، نشير إلى أنه ليس كلاً واحداً يتسم بقدر من الانساق، إنما هو عبارة عن تركيب جيولوجي تراكمي مكون من طبقات تراكمت الواحدة فوق الأخرى، ولم تبلغ كل طبقة جديدة ما قبلها. وقد تكون هذه الطبقات متشابهة أو منافية، ولكنها مع هذا تعشى متجاوّرة ومترابطة وغير متفاصلة، وسميّت كل هذه الطبقات "النسق الديني اليهودي".

ويمكننا أن نقول إن الهوتات اليهودية أيضاً تركيب جيولوجي تراكمي ولكنه
لم يكن ملحوظاً بسبب انفصال أعضاء الجماعات اليهودية ووجودهم في أماكن متفرقة من العالم. فيهود البيديشة نتاج مجتمعاتهم، وكذا يهود الزمن اليهود فرنسا، وهكذا. ومع ذلك، كان يُشار إلىهم جميعاً باسم "الشعب اليهودي"، مع افتراض وجود وحدة ما دون أن يختلف أحد مدى صدق هذه المقوله. ولكنها حين وضعت موضع الاختبار، بعد تأسيس الدولة الصهيونية، ظهرت الخصائص الجيولوجية التراكمية، وتُذكر قضية من هو اليهودي تعبيراً عن اكتشاف أن ما يُسمى "الهوية اليهودية" ليست كلاً يتسم بقدر من التاجيل وإنما هو في الواقع الأمر تركيب جيولوجي تراكمي. وقد أظهرت مجتمعات كل من أمريكا اللاتينية وجبال القوقاز هذه الخصائص الجيولوجية التراكمية في الهوتات اليهودية بشكل واضح.

ومن ثم، فلا بد من توحيج تفسيري أقل عمومية، يمكن أن يصف المتغيرات التاريخية والثقافية والدينية التي دخلت على هذه الهوية وحولتها إلى هويات مختلفة. ولذلك، فإننا سوف نتحدث بصيغة الجمع فنُشرح "الهوتات اليهودية" (كما نتحدث عن "أعضاء الجماعات اليهودية") فهو مصطلح يعبر عن تموج أكثر تراكب، ومن ثم أكثر تفسيرية لواقع أعضاء الجماعات اليهودية، يؤدي استقلالهم النسبي عن محطتهم دون أن ينسبهم إلى تاريخ يهودي عالي أو جوهر ثابت، بل ينسبهم إلى مجتمعاتهم وحسب. ومن هنا مجاولاً فإن هذه الهويات لا من خلال العودة إلى ما يُسمى "التاريخ اليهودي"، أو العودة إلى كتاب اليهود المقدس أو شبه المقدس، أو إلى برو토كولات حكماء صهيون، وإنما بالعودة إلى التشكيكات الحضارية والتاريخية المختلفة التي ينتمي إليها أعضاء الجماعات اليهودية التي تفاعلا معها وأثروا فيها وتأثيروا بها، وإن كانت درجة
تأثّرهم تفوق كثيراً درجة تأثّرهم كما هو الحال عادةً مع أعضاء الأقليات. فهناك هوية بابيلية يهودية، وأخرى فارسية يهودية، وثالثة أمريكية يهودية، ورابعة عربية يهودية.

ولكن مُؤذِّننا النمسيري لا يُهمّل البُعيد اليهودي في بناء هذه الهويات، فالذين اليهودي (بخصائصه الجيولوجي التراكيمية) عنصر أساسي فيها، كما أن الرؤية الدينية بُعيد حيوي وهم. وكل ما نفعله أننا لا نجدُه إما نراه في تفاعل مع الأبعاد الحضارية الأخرى. كما أننا لا نرى أن له مركزية تفسيرية. ولذا، فنحن لا نتحدث عن "هوية يهودية" عامة مطلقة، ولا نتحدث عن غياب أيّة هوية يهودية، وإنما نتحدث عن هويات يهودية مُتنوعة.

والفكر الصهيوني يُقدّرّ عن مُؤذّن اختزلائي ينكر واقع الجماعات اليهودية الحضارية الفسيفسائي الجيولوجي التراكيمي، ويطرح فكرة الهوية اليهودية العالمية الواحدة، وتتم عملية تسمية الواقع وتصنيفه من هذا المنظور. ومن ثم، فإن هناك مصطلحات مثل "يهود الدنماركي" و"يهود المنفي" و"الشعب اليهودي"، وهي جميعًا مصطلحات تفترض وحدة اليهود وتجانسهم. ولكن حين يصل أصحاب هذه الهويات إلى إسرائيل، يتضح للجميع أنهم ليسوا مجرد يهود، إذ يصبحون مرة أخرى مصريين ومقارة وروس! وتحدد مكانتهم الاجتماعية بحسب ذلك. ولذا، ينكر كثير من المغايرات هويتهم العربية، ويصرّون على أنهم فرنسيون وليسوا يهوداً وحسب، وكذلك فإن يهود العالم العربي، الذين تم تهجيرهم باعتبارهم يهوداً بشكل عام، يصبحون مرة أخرى يهوداً شريقيين يقعنون في آخر درجات السلام الاجتماعي الإسرائيلي، كما يصبح يهود روسيا أشكناز أو غربيين، ويُعتنِقون الملح والقروض وأفخاذ المنازل، ثم يشغلون نسمة السلام الاجتماعي. ومن هنا تظهر الهويات اليهودية المختلفة، وهو ما يؤدي إلى طرح قضية "الهوية اليهودية" على سطح البحث.
تاريخ الهويات اليهودية طويل ومُركَّب ويتضمن عدة آزمنة وأمكنة لا يربطها رابط في كثير من الأحيان. وأولى الهويات اليهودية هو ما نسميه "الهوية العبرانية" أي هوية العبرانيين قبل أن يتم تهجيرهم إلى آشور وبابل. وكانت الهوية العبرانية تستند إلى تعريف ديني فطي، كما كان الحال في الشرق الاذري القدام، ونحن نستخدم مصطلح "قومي" لعدم وجود مصطلح دقيق، ونفهم أن مصطلح "أقوام" (نسباً إلى كلمة "أقوى") قد يكون أكثر دقة (مع فُجْه) لأنه مُستَمَد من الواقع التاريخي القديم إذ تشير الدراسات التاريخية إلى "أقوام الكهنوتية" التي سكنت فلسطين (التي كان يُقال لها آنذاك كنعان) إلى "الآشور الإرامية"، وهي مجموعات بشريّة متماسكة على نحو فضفاض، تتضمن بعض السمات القومية، مثل اللغة المشتركة والثقافة المشتركة والدين المشترك، ولكنها ليست شعوباً ولا قوميات بالمعنى الحديث للكلمة. ولم يكن التعبير الفرنسي للهوية العبرانية منغلقاً تماماً، فقد تم إعادة إصدار عديد في الكتب والنشرات العبرية التي تعود إلى هذه الفترة أو تحدث عنها إلى الأجنبي أو الغريب (جير) الذي يوصفه أن ينتمي إلى الجماعة العبرية عن طريق التنحدر. وجاء في سفر التنحية "لا تنتظروا أجيرا مسكيناً وفقيراً من إخوتك أو من الغربيين الذين في أرضك في إبراك، في يوم تمتعي أجره ولا ترغب عليه الشمس لأنه نقيف وإليها حامل نفسه عند صبر عليه إلى أبد فتكون عليك ضراً" (ثنية ٢٤ /١٤ -١٥). وعند الحديث عن هجرة العبرانيين من مصر، أو ربما طردهم، ترد إشارات إلى أن بعض العبرانيين قد تخلّقوا فيها، كما خرج منهم "الليفي" (خروج ٦/١٢٨ -١٣)، وهي إشارة إلى جماعات ليست متجانسة عرقيا ولا تنتمي إلى العبرانيين، ولكنهم على أي حال أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من الجماعة العبرانية. وبعد التغول العبري في أرض كنعان، امتنز العبرانيون إلى الكهنوتية وتزاوجوا معهم، ولكن الحظر العرقي على
الزواج من الأجانب، وعلى ذريته مثل هذا الزواج، لا ينطبق على الأدوميين أو المصريين، وإنما ينطبق على العُمْنَوْنِين وعَمْائِيِّين وحسب. لا يدخل عمونو ولا معاني في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد... لا تكره أدموميا لأنه أخوك، لا تكره مصريًا لأنك كنت نزيلًا في أرضه. الأولاد الذين يولدون منهم في الجيل الثالث يدخلون منهم في جماعة الرب» (تشنيئة 26/3، 7-8). فالحذر هنا ليس مطلقا ولا ضيقاً. ومع هذا، فإن ثمة إشارة إلى أن الغريب ليس مقبولا قبولًا كاملًا باية حلا (تشنيئة 4/1، 21).由此可见，我们可以把这封信件翻译成这些民族为他们的信仰和文化提供了一个明确的方向。}

أما على مستوى الممارسة، فقد كانت الهوية العبرانية مفتوحة تماما. فبعد الهجرة إلى بابل، كان العبرانيون يشكلون جماعة شبه قبليه تتحدث العربية، كما كان لهم نسقهم الديني المقصور عليهم. ومع هذا، كانت هذه الجماعة ملزمة إلى حد كبير في الخياط الثقافي والسياسي الذي تواجهه فيه، متأثرة به أكثر من تأثيرها فيه. فالعبرانيون الذين تسلمو إلى كنعان كانوا قد أحضروا معهم من مصر (وأراضي مدن) فكرة الرب الواحد. ولكن اليهودية (كنسQQ ديني متساوي) لم تكن، مع هذا، قد اكتمل تكوينها بعد واستوعبت عنصر كثيرة من عبادات الخصب الكنعانية، كما أن «يهود» ذاهب لم يكن قد اصطبغ بعد بصورة كنعانية. وتبنّى العبرانيون كثيراً من عبادات الكنعانيين وعباداتهم، واكتسبوا الثقافة الكنعانية، وتحددوا بإحدى اللهجات أو اللغات الكنعانية والتي أصبحت تُدعى «العبرية». وحينما تم تأسيس المملكة المتحدة في عهد داود وسليمان، لم يتوقف خلقت الناصرة الأجنبي. ولقد كانت سيرة داود هي سيرة تختلف مع الفلسطينيين، ثم تكرر لهم، ثم تالم مع دول أخرى مجاورة، وهكذا. وحينما فتح داود القدس التي كانت لا تزال في يد البيروسيين (وهم بطن من بطن كنان)، تم استيعابهم في الجماعة العبرانية حسبما يُقال.

بعد موت سليمان، أنحلت المملكة المتحدة إلى دولتين عبرانيتين: المملكة الشمالية، والمملكة الجنوبية. وكان لكل مركز ديني مستقل عن الأخر. ومساحة المركز الديني في العبادات الكنعانية القديمة، التي تدور حول المعبد، معروفة بشدة الامكان، فالعبده هو مصدر الشرعية السياسية ومصدر الدخل
الأواسي للدولة، وهو في نهاية الأمر مصدر الهوية القومية وأساسها. وقد كان ملوك الدولتين العبرانيتين يترجون، كنوع من التحالفات السياسية، من أميرات أجنبية أن يحضرونه مهين ويعظم المعابد لهم ويشنن العبادات الخاصة بهم بين الأثرياء وفي الرعايا، الأمر الذي كان يزيد التزامهم الدينية وعدم التجانس القومي. والزواج من أجنبيات هو عادة ترجع إلى سليمان الذي لم يكن أمه عبرانية. وثمة ما زال يذهب إلى أن العبرانيين كانوا يتحدثون في تلك المرحلة بلهجات مختلفة، ولم تكن هناك بالتالي هوية لغوية موحدة. وكانت الدولتين اليهوديتان في حالة حرب وصراع دائمين، كما كانت تستعينان بالدول والدولتين الأجنبية في صراعهما (الواحدة ضد الآخر). فقد قامت آشور بالهجوم على الدوينة الشمالية، وفعلت ذلك بناءً على طلب من دولة يهودا الجنوبية التي طالبت بحمايتها من الضغوط التي كان يمارسها عليها الحلف المناعي لآشور، والذين يشكلون بين الدولتين الآرامية والمملكة الشمالية.

وفي هذا الاستعا، يكون الحديث عن هوية عبرانية متصلة بالتجاوز، ولكنه مع هذا يصلى إما أو تعريفاً إجراياً ضرورياً لنفسهم تطور ما يسمى «الهوية اليهودية» عبر المراحل التاريخية.

ومن المستخدم أحياناً مصطلح «الهوية العبرانية اليهودية» للإشارة إلى الهوية اليهودية بعد العودة من بابل بتصريف من قورش الأخميني إمبراطور فارس. وقد بدأت ملامح الدين اليهودي في التحول في تلك المرحلة، وظهر نسج ديني يهودي أخذ شكل عبادة قربانية مرتبطة بالهيئة الذي أعيد بناؤه بارم من قورش، وبارض فلسطين، والتراث العبراني. ومن هنا تسميتنا للهوية اليهودية في هذه المرحلة بأنها «هوية عبرانية يهودية»، فهي عبرانية في جانبها الإثني الإلهية ويهودية في جانبها الدين، الأخ، في التحول، وقد ظهر مصطلح «يهودي» بعد التهجر إلى بابل. ومع هذا، يمكن القول بأن هذا مصطلح فيه شيء من التجازر أيضاً، إذ أن معظم العبرانيين كانوا قد فقدوا لغتهم إبان الإقامة في بابل، وبدأت اغلبيتهم تتحدث الآرامية. ولذا فإن كلمة «عبرانية» تشير هنا إلى الانتقاء الإثني العام وليس اللغوي. كما أن النسق الديني اليهودي لم يكن قد تحدّث تماماً إذا كانت تدخل عليه مؤثرات بابلية وفارسية قوية، ثم هيلينية فيما بعد. وعما هو واضح، تعد هذه المرحلة مرحلة انتقالية من منظور الهوية، ولذلك فإننا نستخدم مصطلح «هوية يهودية» على سبيل التبسيط.
ولم يكن تعريف الهوية العبرانية اليهودية في فلسطين يتضمن بكثير من المرونة،
إذ أن أعضاء الجماعة العبرانية العائدة من باب كانوا يشعرون بأنهم أقلية تهددهم
الأقوام التي سكنت فلسطين، خصوصاً وان العبرانيين الذين لم يهاجروا تزاوجوا
مع نساء تلك الأقوام ورجالهم. ولذلك، طالب عزرا كل من يود أن ينتشي إلى
الجماعة اليهودية العبرانية بأن يطلق زوجته الأجنبية. 
إنكم قد خنتتم واتخذتم
نساء غريبة لتزوجوا على إثم إسرائيل، فاعترفوا الآن للرب إله آبائكم، وأعمالوا
مرضاتهن، وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة » (عزرا 10:1-11).
ومنذ هذه النقطة، ظهرت جماعة السامريين التي شكلت جماعة دينية
مستقلة ذات هوية دينية قومية مستقلة، ورفض أعضاؤها الخضوع لأوامر عزرا
(لكن التفسير السامري للانفصال عن الجماعة اليهودية يختلف ذلك تماماً، إذ
يرى السامريون أنهم أتباع موسى الحقيقيون الذين لم يفسدوا أسفار موسى
الخمسة بتعليل الحاخامات وتفسيراتهم، أي التلمود). وقد ظل تعريف عزرا
(الديني الإثني) الصارم للهوية سائداً حتى العصر الهيليني.

لكن أهم التطورات، في هذه المرحلة، كان انتشار الجماعات اليهودية خارج
فلسطين. وهذه الجماعات كانت تشكل في معظم الأحيان جماعة وظيفية وهي
جماعات بشرية يستندها المجتمع من خارجه أو يجنيها من داخله وهو كل لها
وظيفة محددة وعُرِفت فيها في إطار وظيفتها، وليس في إطار انسانياها المركبة
والمعزية. وحتى يتسم لاعضاء هذه الجماعة الاضطلاع بالوظيفة الموكلة إليهم
بكافأة وعلى أحسن وجه، كان لابد لها أن تختلف بعزلتها الإثنياً والدينية عن
المجتمع الأغلبي نوعاً. وتُعبَر هذه العزلة عن نفسها في صورة التماسك الشديد بالهوية
والاحتفاظ بقدر من الاستقلال عن المحيط الحضاري الذي يعيش فيه أعضاء
الجماعات اليهودية في الرؤية والملابس واللغة والعقيدية (المجموعة أو
منفردة). ولكن يجب أن نشير إلى أن هوية الجماعة الوظيفية تكون عادةً حالة
عقلية أكثر من كونها أمرًا واقعًا، فأعضاء الجماعة الوظيفية يستوطنون الدور
المفروض عليهم ويتوجهون به، ويجدون أن العزلة أمر طبيعي بل ومرغوب فيه،
وإن تحقق الذات والهوية لا يمكن أن يتم بدونه. ويلاحظ أن أعضاء الجماعة
الوظيفية لا يعدون صياغة هيويتهم من خلال عنصرين مُستَمدةً من التراث اليهودي
أو العقيدية اليهودية وحسب، وإنما من عنصرين مُستَمدةً (ويرى بالدرجة الأولى) من
المجتمع المضيف الذي يعيشون في كنفه أو من مجتمع مضيف سابق، أو من
خلالهما مجتمعين، ولكن الحالة العقلية الإنجازية تخيِّم أحيانًا معدات عالية من الانسحاب في المجتمع، فهم يحتفلون بقدر من الاستقلال عن محيطهم الحضاري، ولكنهم يكتسبون سمائهم ورؤيتهم لأنفسهم وغييرهم من محيطهم الحضاري ( شأنهم في هذا شأن أعضاء الجنس البشري كافة) وذلَك رغم استقلالهم عن هذا المحيط. فهويتهم (الوظيفية) اليهودية لا تتضمن من خارج التشكيل الحضاري الذي ينتمون إليه أو رغبة عنه، وإنما من خلاله ومن داخله وبدافع تفاعلهم معه.

وفي الحقيقة، فإن تفرد الهوية اليهودية في أي مجتمع لا يعود إلى تفرد العناصر التي تكونت هذه الهوية وإنما يعود إلى وجودها مجتمعًا. كما أن حركيات المجتمع الذي يعيشون فيه يمكن أن تفسَّر هذا الاختلاف. وهذه التركيبة المزدوجة (قدر من العزلة الفعلية والعقلية مع قدر من الاندماج الفعلي) هي التركيبة المثلى للجماعة الوظيفية. فسَّر ضرورة قدر من الاندماج لأنهم يتعاملون يوميًا مع أعضاء المجتمع ويتعركون داخله ويحسب قواهم، ولكن ثمة ضرورة أيضًا قدر من العزلة لضمان الحياز واستمرار العلاقة التعاقدية بين أعضاء الجماعة الوظيفية وأعضاء المجتمع المضيف، أي أن التركيبة المزدوجة تضمن أن يظل أعضاء الجماعة الوظيفية في المجتمع دون أن يكونوا منه.

ولا أولى الجماليات الوظيفية اليهودية التي ظهرت خارج فلسطين هي الحامية العبرانية في جزيرة إلوفنتاين، التي وُلِدَت فراعة مصر هناك (في أسوان) كجماعة وظيفية استيطانية قتالية لحماية حدود مصر الجنوبية. وقد فقد هؤلاء علاقتهم بفلسطين وننسوا شعائر دينهم أو ربما احتفظوا ببعض النشاطات الدينية من العبادة الإسرائيلية واختلطوا بالهوية المصرية. فعندما أراد الفرس استخدامهم كجماعة وظيفية قتالية تابعة لهم ضد المجتمع المصري، أرسل الإمبراطور الفارسي رسالة يشرح لهم فيها طقوس الدين السني ليركزوا اليهودية ويضمن عزلتهم عن محيطهم المصري، ومن ثم وراءهم. ومع هذا، بيرى بعض المؤرخين أن هوية هؤلاء اليهودية أو حتى العبرانية أمر مشكوك فيه; فقد كانوا يتحدثون الآرامية، كما كانت عباداتهم مشوبة بعناصر وثنية عديدة. ويمكن القول أيضًا بأن الجماعة العبرانية في مصر، قبل خروجها منها، كانت جماعة وظيفية، فقد عمل يوسف مديرًا مخازن فرعون، كما كان يضططع بالأعمال المالية.

أما أهم هذه الجماليات طراً فهي الجماعة اليهودية في بابل والتي رفعتعودة
إلى فلسطين (فيما عدا قلة صغيرة). وقد بدأ أعضاء هذه الجماعة في الأشغال بالتجارة والريا والانصاف عن الزراعة والتركيز في المدن، أي أنهم تحولوا بالتدريج إلى جماعة وظيفية وسائط تجارية وملائية ونساء عربية. وقد كان لهذا التجمع اليهودي علامته ومدارسه الدينية وتوجهه الثقافي الذي أخذ برداد قوة واستقلالاً، حتى أصبح في مرحلة من المراحل مركز المذهب الأساسي في العالم. ويتضح تقدمت الهوية اليهودية في ظهور المفهوم الديني القائل بأن شريعة الدولة هي الشريعة التي يجب أن يتبعها اليهودي في حياته العامة، أي أن نطاق الشريعة اليهودية تم تقديمنه بحيث أصبح نحو اقتصر على حياة اليهود الدينية الخاصة وتعاملاهم فيما بينهم، ولا يتم حياة اليهود العامة أو القومية. وأصبحت الهوية على مستوى الممارسة) دينية، وتحول الجانب القومي فيها إلى مجرد رموز وتطلعات دينية وانتماء إثني يضم للجماعة الوطنية الوسيطة اليهودية العزلة اللازمة لها. وهذا هو المبدأ الذي لا يزال سائداً بين أعضاء الجماعات اليهودية رغم كل الاتهامات.

وأما زاد من استقلال هود بالبلد عن بقية الجماعات اليهودية في فلسطين أو خارجها، أن اليهود، حتى عام 33 ق م، كانوا يعيشون داخل إطار إمبراوريتي واحدة يدورون في فلكها ويستمون هويتهم منها، وهي الإمبراوريتها الفارسية. أما بعد ذلك فقد كان الجانب الباليبي يدور في فلك فارسي (أخميتي ثم فرعي ثم ساساني) بينما كان يهود فلسطين والبحر الأبيض المتوسط يدورون في تلك هيليني ثم روماني. وقد واجب ظهور الجماعات اليهودية خارج فلسطين تغشى الهوية العبرانية اليهودية في فلسطين. فقد شهد العصر الهيليني، خصوصاً في القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، تخلخلان في الهوية العراقية اليهودية في فلسطين (في الرؤية والمارسة) من المورثين الدين والقومي لأسباب عديدة:

1- ادّى تسامح الحضارة الهيلينية، وجداثيتها الشديدة، واستعدادها للاعتراف بأي هودي على أنه هيليني، من أخذ اللغة اليونانية ومارس أسلاك الحياة اليونانية، إلى المجذب العبرانيين اليهود (في بلدان البحر الأبيض المتوسط ومن بينها فلسطين) بإعداد متزايد إلى تلك الحضارة، وإلى تعلمهم طرق تفكيرها وريزها واحتفلاتهم، وفي نهاية الأمر لغتها. وسُمح لليهود الذين طرحوا هويتهم جناحاً (مثل تايبوس الإسكندر، ابن أخي فيلون الفيلسوف السكندري،
وكلهمون وغيره) بأن يصبحوا مواطنين يونانيين تماماً. أما بقية أعضاء الجماعة اليهودية الذين احتفظوا بعقليتهم، فلم يكتسبوا المواطنة اليونانية لعدم استطاعتهم المشاركة الكاملة في نشاطات المدينة (البوليس)، إذ كانت الحياة في المدينة تدور حول العبادة اليونانية الوثنية. وكانت القيادة اليهودية في فلسطين ذاتها مصطغبة بالصيغة الإغريقية، الأمر الذي أدى إلى نشوء الثورة الخشمونية ضد السلوقيين. ولكن القيادة الخشمونية ما لبثت، هي ذاتها، أن تفرح بعد استيلائها على الحكم واصطعت أسماء إغريقية مثل أنتيجون و الإسكندر.

2- لم تكن الهوية العبرانية اليهودية، داخل فلسطين ذاتها، محددة بشكل صارم، حيث كانت تعيش في فلسطين إعداد كبير من أقليات غير يهودية (يونانيون وفينيقيون وقباياء الفلسطيين وقباياء الأقاموم السامية). وتوضح عدم التحالف في فرض الملوك الخشمونيون اليهودية بالقوة فإنه استمر بالقوة على الأدوميين (في شرق الأردن) وعلى الإيطوريين (في الجليل). وكان هيرود (ملك اليهود) من أصل إثيوبي، وكان هؤلاء المهودون يشكلون هوية جديدة أيضاً.

3- كانت اليهودية، كنسية دينية، تخوض تحولات عميقة في تلك المرحلة، نتيجة احتكاكها بالفكر الهيليني وانتشار اليهود في حوض البحر الأبيض المتوسط. وظهرت فرق يهودية كبيرة من بينها الصدوقيون (من طائفة الكهنة) الذين كانوا لا يؤمنون باليوم الآخر، والاسينيون (من أبناء الشعب) الذين كانوا يحيون حياة تشتفى وراهنة. بالإضافة إلى الفرنسيين (من أبناء الطبقة الوسطى أساساً) الذين كانوا يؤمنون باليوم الآخر ويلهم يرجع الفضل في إعادة صياغة اليهودية، وهو ما جعلهم أحد هذه الفرق. كما كان هناك أبناء الطبقات الفرقة المنافرون، فضلاً عن الفرق الشعبية المتطرفة مثل الغوريين (قانين)، ووصة الخناجر (سيكاري)، وكتاب «كتاب الروأ» (أبو كاليس)، وكتاب «الكتيب الخفية» (أبو كريغفا). وكان لكل فريق رؤيته وعقيدته. ومن ثم، كانت كلمة «يهدود» في تلك المرحلة التاريخية، تضم تعرفات كثيرة متضاربة الأمر الذي زاد من خلخلة الهوية على مستوى الرؤية والمبادئ.

4- وفي هذا الإطار، طرح الفيسيون رؤية جديدة للهوية تحرّها من المفهوم القديم المرتبط بالمجتمع القبلي العبراني أو المجتمع الزراعي الملكي، أو المجتمع
الكهنوتية المرتبطة بالهيكل والعبادة القرآنية. فاعيد تعريف الهوية بحيث أصبحت أساساً هوية دينية روحية ذات بعثات متفرقة، ليس بالضرورة قومياً متضمناً، وهي علامة على هذا غير مرتبطة بالهيكل. وواكب هذا التعريف الجديد استعداد للتصالح مع الدولة الحاكمة والقوة العظمى في المنطقة، وعدم الاكتشاف بإبناها مادام لا تدخل في حياة اليهود الدينية. وقام الفرنسيون بنشاط بشري خارج فلسطين، الأمر الذي يفسر زيادة عدد اليهود في الإمبراطورية الرومانية في تلك المرحلة.

5- كما شهدت تلك المرحلة الصدام بين الإمبراطورية الرومانية والغيابات الشعبية اليهودية في فلسطين، التي أجدها دفع الضرائب للإمبراطورية، فاندلعت الثورة في صفوفها، وعارض الصدوقيون والفرنسيون التمرد ضد الرومان، ولم يذكرنا أعضاء الجماعة اليهودية في بابل به. ووقعت بعض المدن ذات الأغلبية اليهودية الواضحة، مثل صفد وطبرية، موقف التأييد من الرومان. وإنضم اليهود المتاخرة إلى الرومان وحاربوا في صفوفهم، فكان هناك جيش يهودي تحت قيادة أجريب الثاني أثناء حصار القدس وكانت أخته بيرنيكي هي عشيقته القائد الروماني تيتوس. وكانت جهود الرومان موجهة لإخماد التمرد وحسب، وليس للقضاء على اليهودية كدين أو على اليهود كأثنا أو تأم (كما زرع التوازي الصينية أو المثيرة بها).

6- وفي هذه المرحلة، أزداد انتشار الجماعات اليهودية في العالم نتيجة الهجرة من فلسطين واليهود، بحيث أصبح عدد اليهود القائمين خارج فلسطين يفوّق عدد المقيمين فيها. وكما بينا، كانت أعداد متزايدة من يهود فلسطين يُفضلن صيغتها العبرانية لتكوين صفقة هيلينية. أما خارجها، فقد نسي يهود حوض البحر الأبيض المتوسط، ولا سيما في مصر، العربية تماماً، وتم ترجمة العهد القديم إلى اليونانية (الترجمة السبعينية) بتشجيع من البطالة حتى يفهم يهود مصر معاناه. وتشجيع منهم أيضاً، تم تشديد هيكل في مصر (في ليوتشيوليس) وهو هيكل أوبيس، وذلك حتى يستقلوا عن هيكل القدس، ويستغلوا عن نفوذ السلوقيين، وحتى يمكن الاستفادة منهم كجماعة وطيفية، مقائلة وسيطة، وهو ما كان يعني ظهور هوية يهودية في مصر الهيلينية مستقلة عن الهوية اليهودية في فلسطين.
هكذا كانت الهوية اليهودية، داخل فلسطين وخارجها، تحوّل عملية تطعيم على المستويين الديني والقومي. ولذلك، يمكن القول بأن تطعيم الهيكل على يد تيطوس لم يكن سبباً مباشرًا في القضاء على الهوية العبرانية اليهودية، وإنما كان جزءاً من عملية تاريخية مركبة أدت إلى القضاء على هذه الهوية وإلى تفتيتها، ولم يكن تنظيم الهيكل سوى تعبير نهائي عن هذه العملية. فتأثرت الحرب الرومانية، استسلم قائد قوات البابlion يوسفوس فلافيوس للرومانيين ثم انضم إليهم، كما أفرطت خدمات بن زكاي من القدس أثناء حصارها، وكلاهما كان من الفرسين الذين انضموا إلى صفوف المتمردين على مضض. وقد سمح الرومان لبوحان بن زكاي بتثبيت رشافه الدينية التي تمت فيها صياغة اليهودية العされましたية أو اليهودية الخانخامية المنفصلة تمامًا عن العبادة القرابينية، وهي النسخة الدينية التي نعرفها، بينما اختفت القوى الأخرى مثل الأسنيين (الذين استوعبوا في المسيحية) والصقوريين وغيرهم.

وتمكن القول بأن الهوية العبرانية والهوية العبرانية اليهودية ذات التوجه القومي قد اختفت تماماً عند هذه النقطة التاريخية وظهرت مراكز عديدة في بابل والاسكندرية. ولا يمكننا التحدث عن هذه النقطة التاريخية ووصفها بالASCII، وعند هذه النقطة التاريخية، يفضل الكلام عن "اليهود الوطن". وإنما عن "أعضاء الجماعات اليهودية"، وعن هوياتهم المختلفة.

وقد حدث تمرد يهودي وهو تمرد بركوكبا، فقضى عليه الإمبراطور هادریان وأصدر مرسوماً بهدم القدس. ولكن، ومع ذلك، حينما منحت المواطنة لكل سكان الإمبراطورية عام 62م لم يُستثنى اليهود من ذلك، وأصبحوا مواطنين رومانيين.

ويمكن أن نقصر هنا بعض الهويات اليهودية المستخدمة في الأسرار: أحدهما ديني، والآخر قومي أو إنساني. فعلى المستوى الديني، كان هناك السامريون، كتلك существуетية اليهود الذين كانوا يتقاسمون بديرهم إلى عدة فرق لكل فئة خاصة، من أهمهم الصدقيون والفرسيون.

وإذا ما أخذنا بالمعيار الإنساني، فيمكن الإشارة إلى يهود فلسطين المتألفين، وكانوا يُهتمون أساساً بالدين في أوساط الآخرين. رغم أن الت kakrac معيار إنساني، إلا أنه يُمكن توضيح معاني دينية، إذ أن اليهود المتألفين كانوا يُشفون ضغط كثير من الطقوس الدينية، ويحاولون التحليل منها بل والقضاء عليها بالتعاون مع
الدولة السلوقية الهيلينية. وهناك يهود فلسطين (الساميون)، الذين كانوا يتخذون الآرامية ويتكلمون في النص، كما كان هناك يهود فلسطين (المتعددون) من أبناء الإيطاليين والآشوريين. وهناك يهود مصر المترُغِلون (و يبدو أنه كانت هناك جماعة يهودية خارج الإسكندرية اكتسبت أيضاً الهوية المصرية المحليَة ولم يكن أعضاؤها يُصنفون ضمن المترَغِلون). وهناك أيضاً يهود جزيرة إلوفنتين وكانوا يتحدثون الآرامية، وأخيراً يهود روما (الذين كانوا يتحدثون اليونانية واللاتينية). كما كانت تُوجد جماعات يهودية في آسيا الصغرى وفي ليبيا (برقة)، وفي أنحاء متفرقة من أوروبا. ويمكن أن نذكر أخيراً أهم هذه الجماعات طراً، وهي الجماعة اليهودية في بابل التي انفصلت عن يهود الإمبراطوريات الهيلينية ثم عن الدولة الرومانية. وقد اكتسبت أعضاء هذه الجماعات كثيراً من السمات الإثنيّة من المحيط الحضاري الذي كانوا يعيشون فيه، الأمر الذي أدّى إلى قدر هائل من التنوع وعدم التجانس. واستناد هذه هي السمة الأساسية والعامة للهويات اليهودية المختلفة التي ظهرت عبر العصور وفي مختلف المناطق.

وما زاد من عدم تجانس الجماعات والأهواء اليهودية، انتشار اليهود في كل أنحاء العالم دون وجود سلطة مركزية دينية أو قضائية في فلسطين أو في غيرها من الاماكن. كما لم تكن تُوجد في العالم القديم وسائل مواصلات أو إعلام تقريب بين أطراف العالم. كما يحدث الآن. لكل هذا، تطورت كل جماعة يهودية على حدة، معاذل عن الأخرى، على المستويين الديني والقومي. وقد ظلت هذه الفسسيفساء قائمة إلى أن انحلت الإمبراطورية الرومانية وانتشرت المسيحية في الغرب وانتشر الإسلام في الشرق، فظهرت فسسيفساء أخرى احتفظت بعناصر من الفسسيفساء القديمة، كما دخلت عليها عناصر جديدة. وقد اتسمت اليهودية ودخلت مدارين أساسيين: المدار الإسلامي والمدار المسيحية. وازدادت اليهودية توحيدية داخل المدار الإسلامي. ومن ثم، ظهر ما يمكن تسميته "هوية يهودية عربية إسلامية"، وهي التي انتجت موسى بن ميمون. وقد جدّث، داخل هذا الإطار، الأقسام الحضري الثاني، وهو الانقسامات القبلية. أما في الغرب، فقد ازدادت اليهودية غريبة، ودخلت عليها عناصر صوفية متطرفة، وازدادت الهوية اتساعاً بين الهويات اليهودية في الشرق والغرب. فيهود الأندلس والعالم العربي
كانوا يتحدثون العربية ويعتنون بها، بينما كان يهود فرنسا يتحدثون ببرطانة فرنسية ويعتنون بالعبرية. ثم ظهرت اليهودية (لغة الأشكناز في شرق أوروبا)، واللادينو (لغة يهود السفارد في حوض البحر الأبيض المتوسط). وكانت هناك بقايا يهود الرومانيون الذين يتحدثون اليونانية ويهود إيطاليا الذين يتحدثون الإيطالية. كما ظهرت هويات يهودية مختلطة في أماكن متفرقة، مثل الحُزر في منطقة القوقاز، والغلافشة في إثيوبيا، وبني إسرائيل في الهند، ويهود الصين في كابنجد، ويهود مانيبرور، والتشريتاس، واليهود السود. ولم يكن انتهاج هؤلاء اليهود إلى اليهودية الخامسة، وإنما كان انتهاجهم إلى تقاليد دينية مختلفة دخلت عليها عناصر دينية وأثنية محلية. وكان يُوجد كذلك يهود إيران وأفغانستان الذين يتحدثون اللغة الفارسية وغيرها من اللغات، وبعض اليهود الأكراد الذين يتحدثون الكردية. وظهر عدد ضخم من الجماعات اليهودية الصغرى في القوقاز مثل: يهود الجبال ويهود جورجيا ويهود الكرماشيكي، وظهرت جماعات يهودية في جبال الأطلس تنحدر البربرية، ومن الأنقسامات الدينية المهمة، ظهور الحركة الشيرونيا وظهور يهود المارانو في حوض البحر الأبيض المتوسط ويهود الدومه في الدولة العثمانية.

هذه هي الفسقية التي كانت قائمة حينما ظهرت المجتمعات العلمانية في الغربية والتي زلزلت اليهودية الخامسة وعمقّت عدم التجانس.
التعريف الديني للهويات اليهودية

في العصور القديمة، كانت اليهودية ديانة توحيدية في محيط وثني، وكانت تكتسب هويتها من هذا التعارض الواضح والبسيط. أما في العصور الوسطى الغربية وفي العالم الإسلامي، فقد اختلف الأمر تماماً، إذ وجدت اليهودية نفسها في محيط توحيدى (إسلامى أو مسيحي) أدّى إلى انقسام مماثل. ولذلك، حاول علماء اليهود أن يخلقوا هوية بين اليهود وأعضاء الديانات التوحيدية الأخرى، وكان التلمود هو ثمرة هذه المحاولة. وكان هذا الحقوق في الشرقية (هالاخا) للهوية اليهودية، فعرف اليهودي بأنه من ولد لم يهودي أو من تهود. وهذه التعريف هو الذي ساد منذ ظهور اليهودية الحاخامية مع بدايات العصور الوسطى في الغرب حتى بداية القرن التاسع عشر، وبالتالي فهو التعريف الذي يعدّ الإطار المرجعي لكثير من الكتبات والأشكالات التي تشاكل حول الهوية اليهودية. وهو تعريف ديني إثني مُعَلَق يشبه إلى حدّ ما تعريف تحمي والعبادة ولكن المُتحرّ من الارتباط بالهيكيل. ولذا، لم يعد الجراحات عرضًا للمحاولة للعودة الفعلية ووقعنا ضد أي ما يشجع دجال من أمثال شباهي تفشي، باعتبار أن العودة لا يمكن أن يتم إلا بمره من فهي يأتي في آخر الزمان، أي أن المنصرق القومي للهوية لم تسكنه وتحولها إلى تطعن ديني، ولكنه مع هذا ظل كامناً.

وقد كانت هناك إشكالية أساسية داخل هذا التعريف تتعلق بالجانب القومي أو العرفي للتعريف، حيث يتوهم أن من يولد لام يهودية يظل يهودياً حتى ولو لم يمارس تعاليم الدين اليهودي، فهو يهودي بالمعنى الإثني. أما اليهودي المتحدّ، فكان عليه أن يكون يهودياً. جميع الأوامر والنهائي، أي يجب أن يكون يهودياً بالمعنى الديني. لكن هذه الإشكالية كانت، هي الأخرى، في حالة كُمْون لأن عدد اليهود المتحدّين كان صغيراً إلى حد كبير، كما أن ترابط الجماعات الدينية والثقافية في العالمين الإسلامي والمسيحي كان قوياً لدرجة أن أي يهودي يترك
د呢ه كان عادةً ما يتبين ديناً آخر ويندمج في المجتمع الخارجي وينصرف فيه تماماً،
الأمر الذي يحل الإشكالية. وكان الفيسوف إسبينوزا أول يهودي يترك الدين
اليهودي ولا يتبين ديناً آخر، أي أنه كان أول يهودي إثنى وعلمانى.
وعلى أي حال، فإن المشكلة كانت تظهر عند إقراض النقود بالربا، فاليهودية
تبيح للبيهودي أن يقرض غير البيهودي بالربا، ولكنها تحرم إقراض بني ملته. فإذا ما
طلب يهودي منصر عرض من أحد المرايين البيهود، كانت قضية يهوديته تطرح
نفسها. وقد أتفقت بعض الحاخامات بأن مثل هذا اليهودي المنصر يجوز إقراضه بالربا
لأنه ليس يهودياً على الإطلاق، ولكن أغلبية الحاخامات اتفقت بأنه يهودي حسب
الشريعة اليهودية، لأنه ولد لا يهودية (أي أنه يهودي بالمعنى العرقي).
وفي القرن الثامن، شهدت اليهودية حركة إصلاح ديني من جانب القرآنين
الذين تأثروا بالتراث الديني الإسلامي وعلم الكلام والنزعة العقلانية فيتراث
الديني الإسلامي، فرفضوا الشريعة الشفهية التي جمعت معظم أحكامها في
الشام، ونادوا بان لا قداسة إلا للنبوءات وحسب. أما الشريعة الشفوية، فهي
مجرد تفسيرات واجتهادات غير ملزمة. وهو موقف مختلف تماماً عن موقف
اليهودية الحاكمة التي تضع الشريعة الشفوية (أي تفسيرات الحاخامات) إلى
مرتبة الضرورة، بل إلى مرتبة أعلى منها أحياناً. ومن ثم، حدد انقسام كامل
بين اليهود، وكان الفقه اليهودي يواجه دائماً مشكلة ما إذا كان القارئون يهوداً
أم لا، وهل يحل الزواج بهم أم يعد زواجاً مخاطراً؟
ومن أهم المشاكل الأخرى التي واجهها الفقه اليهودي، مشكلة يهود المارانو
(اليهود المنخفون) الذين لم يتركوا شبه الجزيرة الأيبيريا وتظاهروا باعتناق المسيحية
بعد استрадاد المسيحية لهذه الجزيرة، واحتفظوا بانتمائهم اليهودي سراً. ويرى
الفقه اليهودي أن اليهودي الذي أضطر إلى اعتناق دين آخر يظل يهودياً، ويمكنه
أن يعود إلى حظيرة الدين حتى سنته له الفرصة. ولكن كثيراً من المارانو اعتقدوا
المسيحية بإرادتهم للاحتفاظ بمتلكاتهم وثرواتهم، كما أنهم لم يفهموا من شبه
جزيرة أيبيريا حينما سنتهم لهم الفرصة. بل إن إتمامهم اليهودي ضعف بشكل
واضح كروز الزمن، ولم يبق مناه سوية شارة رفيعة أو وضعة طفيفة. وفي النهاية
اصبح من الصعب عليهم التنافل مع اليهودية الحاكمة أو العبارة كما حدث
لإسبينوزا (ولوريال دا كونستا من قبله). بل إن ثمة نظرية حديثة تذهب إلى أن

المارانو كانوا مسيحيين صادقين في مسيحيتهم، وأن بعض العناصر داخل الدولة الإسلامية هي التي قامت بتوجيه تهمة المارانية لهم لوقف حركاتهم الاجتماعي، إذ أن هؤلاء المسيحيين الجدد، كما كانوا يُسمون آخانا، كانوا طبقة وسطى صاعدة وقوية كانت تهدد مصالح بعض الطبقات الهمانية.

وقد شكَّل يهود الدوقه من أتباع شبتاي تسي في مشكلة أخرى، فقد اعتنقوا الإسلام علناً وأبقوا على امتثالهم اليهودي سراً. ولم يكن الفقه اليهودي، منذ أيام موسى بن ميمون، يعتبر اعتناق الإسلام من جانب اليهود شرحاً أو إنكاراً لوحدانية الله (على خلاف النصران). وبالتالي لم نكن هناك هناك هوية من الناحية النظرية على الاقل. ولكن الدوقه لم يُرغموا على اعتناق الإسلام، كما أن الأدعاءات المشهورة لقائدهم قُلبت بحرب شرسة من جانب الحاخامات الذين أعلنوا أنها طرفة وتجديف. ومع هذا، كان يهود الدوقه في الدولة العثمانية يدرسون منهجية مع بقية أعضاء جمعيات اليهودية حتى منتصف القرن العشرين، وظلوا محتفظين بكثير من طقوسهم اليهودية سراً دون أن يرغبهم أحد على ذلك! ولد هذا كان من الصعب تقرير ما إذا كان المارانو والدوقة يهوذاً أم لا، وهي مشكلة لم يمسها الفقه اليهودي.

وقد ازداد انتشار أعضاء الجماعات اليهودية في أنحاء العالم، وازداد بشكل واضح غياب التجاوزات الثقافية والدينية بينهم مع الثورة العلمانية الكبرى التي بدأت تترك أثرها التدريجي في الجماعات اليهودية (ولعل ظهور الحركات المشتبهية المختلفة هو تعبير عن تزايد معدلات العلماء).

ولكن رغم كل المشاكل والتوترات الداخلية والخارجية، فإن تعريف الشريعة لليهودي (فمولد لا يهودية أو يهود) وهو التعريف الخاص باليهودي الإرثوذكسي، كان تعريفاً مقبولاً وتصلح أساساً للتفرقة بين اليهود وغير اليهود. ولكن الوضع مختلف تماماً مع ظهور العلمانية التي بدأت تترك أثرها التدريجي في الجماعات اليهودية إلى أن دخلت اليهودية في الغرب مرحلة الأزمة، فظهر فكر حركة التنوير ثم ظهرت اليهودية الإصلاحية ومن بعدا اليهودية المحافظة ويهودية التجديدية ولا تعرف اليهودية الإرثوذكسية بأتبايع هذه الفرق أو بحاخاماتها يهوداً. هذا إلى جانب انتشار نزعات الإخوان والشيك الدين بين اليهود، وظهور ما يُسمى "اليهودية الإديثية" (في الولايات المتحدة وروسيا وأوروبا وغيرها من كونفولث

33
الدول المستقلة) وهي يهودية من لا يؤمنون بالعقيدة اليهودية وإن كانوا يمارسون بعض شعائرها باعتبارها شكلًا من أشكال الفلكلور الذي يدعم إثباتهم اليهودية ويرفع روحهم المنوية. كما ظهرت اليهودية الإسلامية التي حاول أن تؤسس عقيدة يهودية لا تستند إلى الإيمان بالشريعة الموحَّى بها وإنما بالقيم الإسلامية العامة. وظهرت أيضاً جماعات يهودية أخرى مثل العلماء اليهود الذين يؤمنون بأن الطب الحديث لا طائل من ورائه، وبأن سر الشفاء يوجد في العهد القديم، وكانوا في الواقع متاثرين بفكرة دينية مسيحية تُسمى «العلماء المسيحيون». وانضم كثير من اليهود إلى فرقة الموحدانيين (يونيتريان) المسيحية، واحتفظوا في الوقت نفسه بهيترتهم. بل وظهرت جماعة تُسمى «اليهود من أجل المسيح»، وقد اعتنق هؤلاء المسيحية، واعتبروا المسيح عيسى بن مريم هو الماشيخ اليهودي، ولكنهم لم يعترفوا ببنوته للرب، وهكذا. وقد أصر كل هؤلاء (رغم إلحاحهم الكامل أو رفضهم معظم مقولات الشريعة اليهودية) على أن يُسموا «يهوداً»، الأمر الذي وُلد موقفًا غريباً إلى أقصى درجة وهو أن الغالبية العظمى ليهود العالم لم يُعد تلزم بالشريعة اليهودية، ولم يُعد بانطباق عليها مصطلح «يهودي»، حسب التعريف الحاكم، ولكن هذه الغالبية تصر في الوقت نفسه على الاحتفاظ بلقب «يهودي»، بينما لا توجد سوى أقلية صغيرة للغاية ملتزمة بالشريعة تُنظر إلى الأخرى بلقب «يهودي» وتدعى لنفسها حق أن تكون من هو اليهودي، ولذا فهي تذهب إلى أن اغلبية اليهود الساحقة ليسوا يهوداً. وقد صرح آتي بيكر، محرر إحدى المقالات التي أصدرها المؤتمر اليهودي عن أوضاع الجماعات اليهودية في العالم أن الانفصال بين اليهود الأرثوذكس واليهود العلمانيين قد خلق شعبين مختلفين لايتفاقيان.
لا حضرنا التطور التاريخي للهويات اليهودية المختلفة والذي يُجمع عنهم ظهور هويات
لا حضر لها ولا عدد. كما لا حضرنا أن تعريف الشريعة اليهودية لم هو اليهودي
كان تعريفًا يعاني من الخلل، فلا هو بالداني ولا هو بالعرقي، بل يجمع عناصر
دينية وعرفية دون تعريف حدود كل عنصر. وقد زادت الصورة اختلاطاً وسوءًا مع
ظهور الفرق اليهودية الحديثة، وظهور اليهودية الإثناية والهدهمية، وإصرار كل
هؤلاء على أن يسموا أنفسهم يهودًا.
كل هذا يعني أن كلمة «يهودي» تشير إلى أشخاص يؤمنون بانساق دينية
معترضة من بعض النواحي، وينتمون إلى تشكيكات حضارية مختلفة، أي أنها
دلال يشير إلى مدلولات دينية وقومية مختلفة. ولتوضيح الصورة فعليًا، يمكن
القول بأن مصطلح «يهودي» كان يشير، منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى
عشرة ظهور الدولة الصهيونية، إلى عشرات الهويات والانتماءات الدينية والوطنية
العامة.
١ - يهود اليديشية، وطالب عليهم عادةً يهود شرق أوروبا أو الأشكناز. وهم
أكبر القطاعات اليهودية في العالم. وكان هؤلاء يوجدون في أوكرانيا ومنطقة
الاستيطان اليهودية في روسيا وبولندا. وكانوا ينقسمون بدورهم إلى قسمين
أساسيين:
أ) يهود مدينون يعرفون يهوديتهم على أساس ديني.
ب) يهود متب علمنهم يعرفون يهوديتهم على أساس إثني.
وكان معظم أعضاء هذا التجمع اليهودي يتحدثون اللغة اليديشية، وقد
حملوها معهم إلى إقليمنا والولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية وجنوب إفريقيا،
ولكن كانت بينهم قطاعات تتحدث البولندية والأوكرانية والروسية والألمانية.
2- يهود العالم الغربي المنتمون الذين كانوا يتحدثون لغة بلادهم. وهؤلاء كانوا يتسممون إلى عدة أقسام، فمنهم يهود متدنيون يُعرفون أنفسهم على أنفسهم مختلفة (إصلاحي - محافظة - رئيسي - رئيسي). ومنهم أيضاً يهود لادينيون، وأكبر تجمع للحروب يوجد في الولايات المتحدة، وقد تزايد عددهم بوصول يهود اليهود الذين اندمجوا بدورهم في المجتمعات التي وصلوا إليها، وأكتسبوا سماتها الإقليمية والحضارية، وفقدوا هويتهم السلافية اليهودية، وظهر ما نسميه "الهوية اليهودية الجديدة". كما أن العناصر السفاردية في المجتمعات الغربية اندمجت في الأخرى في مجتمعها الحضاري، خصوصاً وأن أعدادهم كانت صغيرة.

3- يهود أمريكا اللاتينية الذين يتحدثون الإسبانية والبرتغالية أساساً. وقد انضم إليهم الآلاف من يهود اليهودية واليهود السفاردي من العالم الغربي والعريبي. وقد احتفظت كل جماعة يهودية مهاجرة بلغتها ويوتاه التي احتررت من بلدها الأصلية RETURN L أحيان الكاثوليكية اللاتيني كان يحتفظ بهويته. فكان التعبير عن الهوية اليهودية هو ذاته صدى لينة المجتمع الضياف.، وحينما بدأ المجتمع اللاتيني يفقد هويته بالتدريج، وبدأت تتصاعد فيه معدلات الخسارة، أخذ أعضاء الجماعات اليهودية يفقدون هم أيضاً هويتهم ويندمجون، ولكن في مجتمعهم اللاتيني.

4- يهود الشرق والعالم الإسلامي والعالما العربي، وكان من بينهم اليهود العرب (اليهود المستعربة). واليهود السفاردي الذين يتحدثون اللادينو، وكانت توجد جماعات كبيرة منهم في العالم العربي، وقد انضم إليهم أعداد كبيرة من اليهود اليهودية، ويهود البلاد العربية (خصوصاً فرنسا). كما تم صبغ كثير من اليهود الأصليين العرب بالصيغة العربية، وحصلت أعداد كبيرة منهم على جنسيات أوروبية.

5- الجماعات اليهودية المتفرقة (مثل الغلاباء ونبي إسرائيل) التي استمر معظمها في البقاء، ولم يختف في واقع الأمر سوى يهود الخبر، إذ لا يزال يُوجد بعض أعضاء من يهود كابينجز ومفاط، وربما آلاف من يهود المارانو والدومن، وإن كان قمة نظرية تذهب إلى أن اليهود الفرائدين الذين يتحدثون التركية هم من بقايا يهود الخبر.
- تم تصنيف جميع الجماعات السابقة إلى يهود غربيين يُسمون "الاشكناز"، ويهود شرقيين يُسمون "السفارد" (أحياناً) برغم خطا التسمية.

7. نحن نرى أن كل التقسيمات السابقة أخذة في الاعتضاء وأن ثمة ثلاثة أقسام أساسية الآن في العالم:

1) خارج فلسطين، ظهر ما يمكن تسميته "اليهودية الجديدة" وهي هوية ظهرت في المجتمعات الغربية الحديثة، وهي ذات ملامح يهودية إثنية أو دينية، ولكن البعد اليهوتي فيها هامشي، لا يؤثر في سلوك أعضاء الجماعات اليهودية، إذاً ما يحكم هذا السلوك هو الرواية العامة السائدة في المجتمع (اللجنة) والتي توجه سلوك المسيحيين واليهود والبوذيين والمحلدين... إلخ.

ب) داخل المستوطن الصهيوني ظهرت هوية جديدة تماماً لا علاقة لها بكل الهويات السابقة، وهي جيل الصابرا ويتبتا الدارسون بأن هؤلاء الصابرا سيكونون أهيازاً يتضمنون العبرية لاترتبهم بأعضاء الجماعات اليهودية في العالم سوى روابط واسع بها لتختلف كثيرا عن علاقة اليونانيين المخلدين باللغة اليونانية. وتعليم كثير من علماء الاجتماع إلى أن اليهود الدارسين في إسرائيل يتقاسمون أيضاً إلى شرقيين وغربين، ومن ثم يطلق "مصطلح الصابرا" في واقع الأمر على أولاد اليهود الغربيين وحدهم.

2) يهود متدينون (أروثودكس) وهم أقلية صغيرة خارج إسرائيل وأقلبية كبيرة داخلها.

واسورة، كما نرى، مرتبة وغير متجانسة على جميع المستويات. فهذه الجماعات التي كانت تفصل بعضها عن البعض هوية من الخلافات الدينية، وكانت تتحدث عشائر اللغات واللغات، تتبع ضمن تشكيلات اجتماعية وثقافية لا حصر لها، ابتداءً من يهود الجرذ من مجتمعاتهم الرأسمالية ومروراً، بيهود اليمن الذين يشكلون جزءاً متكاملاً من مجتمعهم العربي بكل فنونه وتقاليد ومعارف، وصولاً، إنه يهود الفلاشة (في إثيوبيا) الذين ينتمون إلى تشكيل قبلي بسيط ويتحدثون الأمهرية لغة أغلبية أهل إثيوبيا ويتبعون بالجزيئية لغة الكنيسة القبطية فيها ويلاحظ هنا كيف يتفاعل الأثناء الإثني مع الأبعاد الدينية. وربما كان هذا التداخل هو ما جعل مندوب الوكالة اليهودية في
الخمسينيات لا يتردد في أن ينصح الفلسفة بحل مشاكلهم كلها لا بالهجرة إلى إسرائيل وإنما عن طريق التنصير والانضمام إلى الكنيسة القبطية في إثيوبيا.

وهذه الهويات اليهودية المختلفة لا وجود لها خارج محيطهم الخضاري. فإن فقد يهود الفلاشان الأمهرية والجعوية والشعائر الدينية المختلفة التي استقروا من محيطهم الخضاري، فإنهم يفقدون هويتهم التي يقال لها "يهودية". ويسري الشيء نفسه على يهود الولايات المتحدة، فخصوصيتهم نابعة من انسجامهم إلى المجتمع الأمريكي، ولا يمكن تخيلهم خارج هذا المحيط الثقافي.

إذا كانت هناك هوية يهودية مستقلة نسبيًا عن محيطهم الخضاري، فهذا لا يعني بالضرورة أن هناك هوية يهودية عالمية واحدة مترابطة. والواقع أن هناك هويات يهودية مختلفة متعددة بعدد المجتمعات التي تتألف فيها هذه الهويات، إذا انتمت الناسبي لم يؤد بالضرورة إلى ترابط الواحدة مع الأخرى. فيهود شرق أوروبا كانوا يكتسبون هويتهم الشرق أوربية اليهودية من خلال البريدية. وكان اليهود السفارد يكتسبون هويتهم الإسبانية من خلال اللادينو. وكانت كل من البيديشية واللادينو تعزل أعضاء الجماعة عن محيطهم. ومن ثم كان الصدام بين السفارد والاشتراكيز حادًا دائماً في جميع نقط التسامح، سواء في أوروبا في القرن السابع عشر أو في العالم الجديد في القرن الثامن عشر أو في ألمانيا في القرن العشرين.
الهوية اليهودية الجديدة

"المصطلح قمنا بمسك لوصف الهوية اليهودية الجديدة التي نشأت تدريجياً في العالم الغربي بعد عصر الانتعاش وتصاعد معدلات العلمنة حتى أصبحت النموذج السائد فيه. واليهود الجدد هم أصحاب هذه الهوية الجديدة. يمكن القول بأن الهويات اليهودية المختلفة، بعامة، قد تحدّدت معاهم وتشكيل مضمونها في المجتمعات التقليدية (قبل الرأسمالية) بطريقة مختلفة عن تشكّلها في المجتمعات العلمانية الحديثة. فالمجتمعات التقليدية هي مجتمعات تدور حول منظومة عقائدية تستند إلى ميثاق رقماً ومطلقات معرفية وأخلاقية ويأخذ تقسيم العمل فيها شكل الفصل الحاد بين الطباقب والأقليات والجماعات. وبدلاً من اضطلاع اليهود فيها بدور الجماعة الوظيفية الوسيطة (واحيانًا العميلة) المتغلقة على نفسها، شانهم في هذا شأن الأرمن في تركيا والصينيين في جنوب شرق آسيا.

لكن يهود العالم الغربي، شانهم شأن بقية قطاعات المجتمع الغربي، خضعوا بعد القرن التاسع عشر لعملية ضخمة من العلمنة والتحديث، ووجدوا أنفسهم يتفاعلون مع بيئة حضارية وسياسية مختلفة تمامًا عما كانوا من قبل، فقد تزايد معدل العلمنة في المجتمعات الغربية إلى أن أصبحت المجتمعات تُهمَن عليها العقيدة العلمانية (الشاملة) التي لا تتبنا أية معايير دينية أو أخلاقية للحكم على الفرد. فهي مجتمعات تدور حول مبادئ المنفعة واللذة وحول مفهوم الإنسان الطبيعي (الاقتصادي والجسماني)، ولا تتحكم على الفرد إلا على أساس كفاءته ومدى نفعه وتكيفه مع قيم المجتمع بحيث يصبح مواطناً يتوه نحو الدولة وخدمة مصلحتها، قادرًا على البيع والشراء والبحث عن اللذة وتعظيم الإنتاج والإشاع والقتال حينما يُطلب منه ذلك.

39
وتنتمي هذه المجتمعات بتراجع العقيدة المسيحية وعدم الاكتئاب بها وبكل الأديان والقوالب والعبادات. في الماضي، أي حتى منتصف القرن التاسع عشر وربما أواخره، كان على اليهودي الذي يود الاندماج الكامل في مجتمعه أن يغير دينه ويتعيني دينًا آخر، أي المسيحية، كما فعل هابيي ووالدا كل من ماركس ودزرايلي. ولكن المسيحية دين له رموزه المركبة والمعاداة للأعمال واليهودية، ولذا كانت تجربة التنصير مريرة ولا شك. أما اليهود العالم الغربي في الوقت الحاضر، فيمكن أن ينتمي منهم أن يتخلى عن دينه لأن يجد شعراً دون أن يقطر بالضرورة إلى التنصر أو اعتناق أي دين آخر (كما فعل فيلسوفر إسبينوزا أول يهودي إبنه)، وبسعته بعد ذلك أن ينتمي في صفوف اليهودين التي تدخل الآلة الروحية اليهودية والتي يتم تنميتها من الداخل والخارج بشكل دائم من خلال البنية التحتية الدينيّة والمؤسسات الإعلامية والترابية. وهذه الملايين لا تكتثر بالخصوصية، إلا باعتبارها مصدرًا مُتقدماً للمنعة والإنارة. وهذه المجتمعات الغربية التي يعيش فيها اليهود الجدد لا تجتمع كثيرًا بالدين أو أي أباع معرفية كلية نهائية، ولذا فهو لا يُوجّه سلوك اختراعها ولا رؤيته لذاتها أو الواقع، وإن كان هناك بعد ديني فهو عادة عامشي ضامر. وهي مجتمعات لا ترى اليهودي بعتباره قاتل للمسيح أو عدو الله، ولا ترى اليهود باعتبارهم الشعب الشعوذ. وأعضاء هذه المجتمعات قد يتركون عن التراث اليهودي/المسيحي ولكن الإنسان بالنسبة لهم، في التحليل الأخير، هو الإنسان الاقتصادي المنتج والمستهلك، والإنسان الجسمي، الباحث عن النتائج. وهي مجتمعات لم تعد تكثر كثرًا بالشعائر المسيحية ولا بالعبادات المسيحية حسب الأديان المسيحية، ولم يُقصَ من مضمونه الديني وأصبح مناسبة اجتماعية ومغامرة للاستثمار. وبكلام من العقيدة المسيحية، ظهرت مجموعة من العقائد العقلانية المختلفة (مثل الوجودية والماركسية والنازية والليبرالية أو حتى الاستهلاكية) يمكن أن يؤمن بها كل من يشاء.

ولا تمارس هذه المجتمعات أي تجريب ضد اليهودي أو ضد أية أقلية أخرى، فرقة الحياة (العلمانية) العادمة مفتوحة أمام الجميع، وإمكان الجمع الاختقاء فيها بعد أن يطرحوا جانباً خصوصياتهم الثقافية والدينية، أو بعد أن يتركوها في منزلهم في رقعة الحياة الخاصة. وهذا طلبت حركة الانعكاس من اليهودي أن يكون يهوديًا في
المotel مواطناً في الشارع). وفي رفعة الحياة العامة يمكنهم ان ينتَخروا ما حلا لهم
الانحراف في البيع بالأسعار، والشراء بارخصها، والبحث الدائم (المنهجي
أو التلقائي) عن اللذة وعن التخفيفات والأرواحيات، دون أي تميز على أساس
العفّيقة أو الجنس أو اللون. ومن ثم لا يوجد أي تمييز ثقافي أو وظيفي أو مهني
للمهود في مواجهة غيرهم، وإن كان هناك مثل هذا التماس يُفسر من رواسب
الماضي، فالجميع يلتقي على أرض علمانية ضبئة.

هذا صورة المجتمع العلماني النماذجية، أي أنها صورة غير واقعة ولكنها، مع
هذا، ممثلة للمواقع. وداخل هذا الإطار، ظهرت الهوية اليهودية الجديدة، التي
نطلق عليها أصحابها مصطلح "اليهود الجديد" لاسيماً من يهود ما قبل القرن
الثامن عشر وعن يهود مرحلة ما قبل الانعتاق. وفي بعض الدراسات المتخصصة،
يُقال لليهود الجديد "يهود ما بعد مرحلة الإعتاق"، كما يمكن أن يشار إليهم
ببساطة بوصفهم "يهود العالم الغربي"، أو "اليهود الغربيين"، مع إسقاط
المصطلحات التي تشير إلى هويات إثنية أو إثنيّة دينية مختلفة، مثل: "يهود
اليديشية" أو "السفارد" أو "الاشكناز"، لأنها لم تُع د تُصطل أثاراً مرجعياً.

فاليديشية احتفت تقريباً، كما احتفت آية ملامح إثنية آتي بها المهاجرين اليهود
من أوطنهم الأصلية. وأهم كتلة يهودية بين اليهود الغربيين تتمثل في الأمريكيين
اليهود (و ليس اليهود الأمريكيين) الذين استُوعبوا في الحضارة الأمريكية تماماً ولا
وجود لهم خارجها ولا يمكن فهم سلوكيهم دون الرجوع إليها.

والأمريكيون اليهود هم أهم قطاعات هؤلاء اليهود الجدد وأكبرها، إذ يشكلون
نحو 90٪ منهم، ويشكلون جماهير الصهيونية الغريبة وعمومها الفكري ويؤثرون
في صنع القرار الأمريكي، حيث إن يهود أمريكا الغربي بدأ يهود أوروبا الشرقية
أيضاً أثدا في الثلاثي (باستثناء يهود فرنسا التي هاجر إليها يهود المغرب).
فإننا نستخدمن أحياناً مصطلح "اليهود الجديد" كمُرد من مصطلح "اليهود
اليهود". وقد ساهمت خصوصية الولايات المتحدة الأمريكية في سرعة ظهور
الهوية اليهودية الجديدة وفي بلوستها. وتمثل هذه الخصوصية في العناصر التالية:

1. المجتمع الأمريكي مسياسي استيطاني يتكون من فئات إثنية. ورغم أن
نها نواة بروتيناتية بيضاء أسست المجتمع وشكلت أغلبية أعضاء النقخبة، فإن
المجتمع لا يوجد فيه أغلبية متجانسة. ولذا لا يشكل اليهود الإقليمية الإثنية أو

41
الدينية الوحيدة، وإنما توجد بالإضافة إليهم عشائر الأقليات الأخرى، مثل الإيطاليين والأيرلنديين والمهاجرين ذوي الأصول الإسبانية من بورتوريكو و أمريكا اللاتينية، إلى جانب العرب والسلافي. كما توجد الآن أعداد كبيرة من الآسيويين من الهند والصين واليابان، وهناك أيضاً أعداد كبيرة من الأقليات الدينية من كل شكل ولون.

2- المجتمع الأمريكي مجتمع جديد منفتح يوجد فيه مجال للقيادة والاستثمارات والتحرك الاجتماعي، الأمر الذي يسر لittance الجماعات اليهودية أن يحققوا كل إمكانياتهم الاقتصادية وأن يستمروا كفاؤاتهم وروعو أموالهم بشكل كامل. والمجتمع الأمريكي الرأسمالي، الذي تشتعل فيه قطاعات ضخمة بالتجارة والبيع والشراء والأعمال المالية، لم يفرض على أعضاء الجماعات اليهودية دور الوسط، ولم يحزم عليهم أي نشاط اقتصادي.

3- لم يمارس المجتمع الأمريكي أي تمييز ضد أعضاء الجماعات اليهودية في الحقوق السياسية والمدنية، بل منحهم هذه الحقوق كاملة منذ البداية. ولم يظهر هذا المجتمع سوى أشكال طفيفة من التفرقة الاجتماعية (هي شكل من أشكال التحامل أكثر من كونها تفرقة عنصرية) مثل حرمان اليهود من عضوية النوادي الاجتماعية الأرستقراطية أو التعيين في بعض المناصب الحيوية. وقد تجاوزت هذه الحواجز ذاتها في أوائل السبعينيات حين عين كيميستجر وزيراً للخارجية عام 1973، وإنرفينغ شابير مدراً لواحدة من أكبر الشركات الأمريكية (شركة دي بونت) عام 1974.

4- المجتمع الأمريكي مجتمع ليس له تاريخ طويل أو تراث مزدوج، ومن ثم لا تسیطر عليه أية أساطير عرقية أو مفاهيم دينية قدیمة ذات امتداد زمني أو ذات جذور تاريخية راسخة. وإن كانت هناك رواسب حملها بعض المهاجرين معهم، مثل الأيرلنديين أو الألمان وغيرهم، فهي مجرد رواسب لم تكتسب أية مركزية ولم تضرب بجذور عميقة. ويقول بعض علماء الاجتماع إن التعبص الأمريكي عادة ما يستهدف السود بالدرجة الأولى، ثم الكاثوليك بالدرجة الثانية، ولكن لا يستهدف أعضاء الجماعات اليهودية إلا بالدرجة الأخيرة.

5- المجتمع الأمريكي هو أكثر المجتمعات علمانية على وجه الارض، حيث تم
فصل الدين والأخلاق وكل القيم عن الدولة وعن رقعة الحياة العامة (أي عن 90٪ من حياة الإنسان الأمريكي).

لكل هذا، وجد المهاجرون اليهود أنفسهم في وضع حضاري جديد تماماً، إذ أن المجتمع الأمريكي مجتمع مفتوح ومعين الكلمة، بخلاف المجتمعات الغربية المتقلقة من الأساطير القديمة والتقليدية التاريخية والقيم التي ورثتها. ولذلك اندمجوا فيه بسرعة وتهافت أسوار العزلة الثقافية والأقتصادية والاجتماعية عليهم، فلم يضطرروا إلى السكنى في أماكن خاصة بهم (الجيتو)، ولم يفرض عليهم أن يرتدوا أزياء مميزة. ولذا، اختفت بذلك ثقافة يهود اليهودية الأوروبية إلى أوروبا، كما اختفت تقريبًا اللغة اليديشية ذاتها بسرعة، وكذلك الأمر مع المدارس ذات الطابع اليهودي التقليدي بل وغير التقليدي.

ومع هذا، يمكن القول بأن الهوية اليهودية الجديدة في الولايات المتحدة، رغم تقبلها بسرعة وبشكل حاد، فإنها لا تشكل سوى حالة متقدمة من متناقضة تأثيرة مذكورة في التحقيق. فالهوية اليهودية الجديدة هي شرعية التفاعل الثقائفي واليومي بين أعضاء المجتمعات اليهودية ومجتمعاتهم العلمانية، إلا أنها في الوقت نفسه ثمرة تخطيط واع. فبعد انهيار أسوار الجيتو، وفتح أبواب الانتهاج والانفراج، أدرك بعض قيادات المجتمعات اليهودية الفكرية ضرورة تغيير الهوية اليهودية لتفقد مع الأوضاع الجديدة، بكل ما تعطيه لليهود من حقوق جديدة، وبكل ما تلزمهم به من واجبات جديدة أيضًا. وقد كان مُصرّرًا أن تغيير الهوية اليهودية هو السبيل الوحيد للاحتفاظ اليهودي بيهوديته (ال الدينية أو الأثنية) وتحقق الاستمرار لها داخل مجتمعاتهم ما بعد الانتهاج، لأن الاصطدام بالظروف العلمانية أمر لا جدوى له. ولكن ما حد من التوقع. إذ اندمج اليهود تماماً في مجتمعاتهم بحيث أصبحت أثاث سلوكهم وأسلوب حياتهم لا يختلف كثيرًا عن الأفكار والأساليب السائدة في مجتمعاتهم، كما أن أحلامهم وطموحاتهم لا تختلف عن أحلام وطموحات معظم أعضاء مجتمعاتهم التي ارتقت فيها معدلات العلمانية، أما البعد اليهودي في هويتهم فقد أصبح هامشًا للغاية، وظهر أن الهوية اليهودية الجديدة (من منظور خصوصيتها اليهودية الدينية أو الإثنية) هوية هشة رخوة تنتظم وهويتهم إلى المظهر والقدرة لا إلى الخبر والجهر.
فعلى المستوى الديني، ي<stdio اليهودي الجديد "المدني" (باستثناء قلة صغيرة)
يتنامي عادةً إلى فرق من الفرق اليهودية الجديدة (الإصلاحية أو المحافظة أو
التجديدية) التي تؤمن بصياغة مختلفة للغاية من اليهودية (فهي تسمح بوجود
خانات من النساء والزواج المختلط والขณะ النسائي إلى المعابد اليهودية
المختلفة: بل ويوجد الآن خانات من الشواؤات الجنسية من الجنسين، ومدارس
دينية علنا [يشيشا] يتخرج منها مثل هؤلاء الخانات) يُصنف نفسه اليهوديا متدينًا ومع هذا لا يُنتج إلى أي من الفرق. وهذا الانتهاج
الديني يأخذ شكلاً إيمانًا بعض الأفكار الغامضة عن وجود الإله وبعض المبادئ
الأخلاقية العامة الموجودة في معظم الأديان والمظاهرات الأخلاقية. وهو إيمان
منفصل تماماً عن الشعائر الدينية والإنانية اليهودية. فقد اختفت بشكل كامل
تقريرًا، الشعائر الدينية اليهودية التي تنظم حياة اليهودي بل واستمرت الشعائر
الأسبوعية والشهرية ولم يبق سوى الشعائر السنوية ذات الطابع الاحتفالي والتي لا
تطلب أي عملية ضبط للذات. بل، على العكس، يتحول الاحتفال بالشعائر
إلى فترة لتأكيد الذات والإفصاح عنها وإدخال قدر من المتمعة عليها. ولذا، تم
التركيز على تلك الشعائر ذات القيمة الجمالية أو الإثانية أو تلك التي تشبه بعض
الطقوس والشعائر (المسحية) بحيث يستطيع الجميع الاحتفال بشعائرهم في ذات
الوقت وفي رقعة الحياة العامة. وانطلاقًا من هذا، نجد أن الشعائر تأخذ شكل
تناول العشاء أو وجبة مطبوخة بطريقة معينة في بعض الأعياد أو إيقاف شموع
السربت (لا يقيم شعائر السربت كلها سوى 5% من يهود أمريكا) أو إيقاف
زعماء الحانوخار في ديسمبر أو تزيين المنزل بشجرة الحانوخار التي ليس لها أي
مصمم ديني (وتشبه تماماً شجرة الكرسماس). بل، وهناك المكايا بجل
الحانوخار، بدائل بابا نويل أو سانتا كلوس. وهذا اليهودي الجديد قد يذهب إلى
المعبد اليهودي ولكنه يفعل ذلك مرة أو مرتين في السنة (عادةً في يوم الغفران وربما
في عيد الفصح). والشعائر تُقام لا باعتبارها شعائر دينية وإنما باعتبارها حدثاً
اجتماعياً إذ تحوَّل الزمان الديني المقدس (بالإنجليزية: سكيرد تام
(sacred time) إلى احتفال عائلي، أي إلى زمن عائلي (بالإنجليزية: فاميلي تام
(family time)
ثم تحوَّل الزمن العائلي بدوره إلى 
وقت الفراح أو الويك إند.»

ويمكن أن يغالي اليهودي الجديد قليلاً ويشير على ضرورة ممارسة شعائر الطعام

44
اللدى، ولكنه عادةً ما يقيم بعضها لا كلهها، كما يمكن أن يصر على إقامة
احتفال بلغة الملك (بارمثيساف) لأطفاله (حتى لا يختلف عن أقرانه
الإنسان البشري، شمل الناس، أهالي، أو أي مقيمون إثني
حقيقي). فهو حدث بورة جوسي استهلاكي ضخم يشبه الاحتفال بعيد الميلاد حين
يحتفل الإنسان بميلاده البشري لا يلايده البشري. وبدلاً من أن يذكر اليهودي
أنه قد وصل إلى السن الذي يجب عليه أن يحمل فيها نير العهد وينفذ الوصايا
الأوامر والنهائيات، فإنها يعقد حفلة فاخرة مكلفة وموضوعية (تشير حفظة كثيرة من
الخانات) وقد ينص أحد الخانات في موقع الدينى في الولايات المتحدة
بقوله: "إن اليهود أمريكا قد أصبحوا أغلبهم دينياً وأصبحت يهوديتهما أكثر عامانياً.
ويمكن إعادة صياغة هذا القول لينطبق على اليهود الجماعات الغربية ككل فإنقول: "إن
يود العالم الغربي العلماني قد أصبحوا أغلبهم دينياً وأصبحت يهوديتهما أكثر
عامانية".

أما من الناحية الإثنيـة، فيلاحظ أن اليهود الجدد يتحدثون لغة البلد الذي
ينتمون إليه وقد يستخدمون كلمة عبرية هنا وكلمة يديشية هناك من قبل
ال القرار الإثني، ولكن هذا لن يبرع عملياً إلا في التواصل الرشيد البرمجياتي، وتعد
الإنجليزية، وليس العربية، لغة معظم اليهود العالم إذا أضفنا اليهود استراليا
ونيوزيلندا وجنوب إفريقيا وإغتالزا وكندا إلى الأمريكتين اليهود، وهي اللغة التي
يتحدثون فيها ويكرون ويعدون ويدينون مؤلفاتهم الدينية والدينية بها.

ومن الواضح أن الحوارية الغربية الحديثة قد بهرت الكثير من اليهود وحلت
محل لقائعهم اليهودية التقليدية تماماً. وكما قال أحد الملوك، فإن اليهود العالم
الغربي يعرفون موطنهم ومايكل جاكسون، ولكنهم لم يسمعوا قط بموعي بن
ميمو، ولا يعرفون عن مضمون التلمود شيئاً، وبعضهم يصاب بصدمة عميقة
حينما يعرف عن بعض جوانب التلمود المظلمة والسليمة. وغني عن القول أن
النسق القيم الذي يتبناه عامة اليهود الجدد واليهود الأمريكيون اليهود هو نسق مادي
استهلاكي، شاهم في هذا شأن عامة جماهير المجتمعات الغربية. والواقع أن
الإسهامات الثقافية المميزة لليهود العالم الغربي، في مجالات الأدب والفنون
التشكيلية والعلوم، تعد من أكبر الشواهد على مدى اندماجهم في هذه الحضارة
ومتملكهم ناصية مُصطلحًا، فهي إسهالات غربية علمانية بالدرجة الأولى، وقد تكون له نبرة يهودية حين تتناول احياناً موضوعات يهودية، ولكن المجتمعات الغربية لا تُمنح في هذا بياتا ما دامت هذه النبرة لا تتعارض مع اداء اليهودي في رقعة الحياة العامة. والعقد الاجتماعي الأمريكي يسمح للأمريكيين بأن يحتفظوا بشيء من عناصرهم الدينية وثقافتهم الأصلية بشرط الا يتناقض ذلك مع الانتماء الأمريكي الكامل.

ولذا، يستطيع اليهودي أن يعبر عن إحساسه بالانتماء للتراث اليهودي (دون إلمام به)؛ وأن يتباهى أمام الجميع بذلك، وأن يشعر بالفخر بالإيجازات اليهودية، ويستير في أعمالاً فنية يهودية (بحمية داو، شمعدلين البنورا، أعمال شجال، أفلام وودي آلن) ويشتري أيضاً بعض الهدايا التذكارية (سوفينير)، وفيما في المناسبات والمؤتمرات الخيرية والثقافية اليهودية أكثر من أفقرهم من غير اليهود. ولكن كل هذه أمور هامشية بالنسبة لانتمائه مجتمعه ولادائه في رقعة الحياة العامة.

ولا يتفاعل اليهود الجدد مع ثقافة إسرائيل العربية إلا باعتبارهاثقافة أجنبية يربطهم بها اهتمام خاص، تماماً مثلما يتفاعل المهاجر الإيطالي مع الثقافة الإيطالية حينما يدفعه الجنون الرومانسي إليها (نوسائجيا) وذلك دون أن يضع بهويته الأمريكية.

ويُعدّ تزايد معدلات الزواج المختلط من أهم علامات تآكل الهوية اليهودية وهشاشتها. فقد أصبحت هذه الهوية اليهودية الجديدة، بسبب هاششيتها بالنسبة لسلوك اليهودي في المجتمعات الغربية، لا تشكل علناً أمام الزواج المختلط. فحينما يقرر شيخ غير يهودي، مثلاً، أن يتزوج من يهودي رجلاً كان أو امرأة، فإن الانتماء هذا الأخير لا يمس جوهر رؤيته للكون أو نفسه ولا يؤثر في سلكه بشكل كبير. فاليهودي، شاهد على المسيح، يؤسس حياته على أسس علمانية، ولذا لا يتردد اليهودي في الزواج من شخص غير يهودي، بل ويقال إن إعادة تعريف الهوية اليهودية لم تُحدث تشكل فقط حاجزاً أمام الزواج المختلط، بل وأصبحت حافزاً على مثل هذا الزواج في المجتمعات العلمانية، حيث يبحث المجتمع عن مغامرات جديدة ومغايرة وعن أساليب حياة مختلفة، واليهودي يتيح هذه الفرصة ويحقق مثل هذه الأمنية من يقترب به.
وعند أكبر العلامات الأخرى على الاندماج الكامل ما يعرف بالاندماج الاقتصادي. فلم يعود اليهود يشكلون كتلة اقتصادية مستقلة داخل المجتمعات الغربية. ولم يعد لهم هرم وظيفي مستقل عن الهرم السائد في المجتمع (إلا من بعض الجوانب فقط). كما لا يمكن الحديث عن "رأسمالية يهودية" أو حتى عن "رأسمالية يهودية أمريكية أو إنجليزية"، فروس الأموال التي يمكنها الرأسماليون اليهود إما هي رؤوس أموال أمريكية أو إنجليزية ليس لها حركية مستقلة أو إسهام مستقل، أي أنها جزء صغير من كُلٍّ أكبر. والرأسماليون أو المهني أو العامل اليهود لا يواجه مشاكل خاصة به، بل يواجه المشاكل نفسها التي يواجهها أقرانه في الشريحة الاجتماعية نفسها أو في المهن نفسها. وفي الواقع็ก أن الأمريكيين اليهود يتركون في الوقت الحالي في المهن (الطب والجامعات والمجلات والإعلام إلخ) وهو اتجاه آخذ في التعمق باعتبار أن عدد الشباب اليهودي في الجامعات الأمريكية ينزايد على مر الأيام، ولكن هذا هو الاتجاه العام في المجتمعات الاستهلاكية، إذ يزيد قطاع الخدمات تدريجيًاً بازدياد الروافعية. ومع تزايد الاهتمام بالجامعات الحديثة على الآلات العلمية والإلكترونية، يزداد اهتمام المجتمع إلى المهنيين. وإذا كانت نسبة اليهود المهنيين أعلى من النسبة العامة في الولايات المتحدة، فإننا ليس لدينا على التمييز العنصري وإنما هو دليل على أن اليهود، باعتبارهم أقلية، يتسمون بقدر من الحركية أعلى من تلك التي تتسم بها بقية أعضاء المجتمع، فيسارعون باتخاذ الفرص التعليمية المتاحة ويحققون درجة من الحراك الاجتماعي تزيد عن تلك التي يحققها بقية أعضاء المجتمع، وهم في هذا لا يختلفون عن أعضاء الأقليات الأخرى.

ويبدو الدول الغربية الحديثة لا يعيشون في جينوات مقصورة عليهم وإنما ينتمون مكان معيشتهم بحسب دخولهم وحسب ما تملقه مصالحهم (الطبية والمهنية والخروجية). وقد ثمر عن هذا أن اليهود المحدث، والآخرون اليهود على وجه الخصوص، يعيشون إما في المدن الكبرى أو في مدن صغيرة أو جزيرة قريبة من المدن الكبرى (الضواحي). ويتبين هذا التوزيع في تشتت اليهود الجدد، وفي ابتعادهم عما تبقى من مراكز الثقافة اليهودية وعن أفرادهم، وفي اقترابهم من غير اليهود، الأمر الذي يزيد معدل اندماجهم والزواج المختلط بينهم. ومن المفارقات التي تستحق الذكر أن الخلاك الاجتماعي يُعتبر من أهم أسس تشتيت...
اليهود الجدد، وأرقائهم في سلم المجتمع وفي مراحل التعليم العالي، وفي بحثهم الدائب عن أفضل المؤسسات التعليمية وأحسن الفرص الاقتصادية. وتكتسب المفارقة في أن القيمة الإيجابية التي يعلقها اليهود الجدد على التعليم هي نفسها التي تسبب انتشارهم، بكل ما يتضمنه هذا الانتشار من سلبيات من منظور التساؤل الاجتماعي.

وفي هذا الإطار، سنجد أن توجهات يهود العالم العربي السياسي (بما في ذلك نابضهم الإسرائيل والصهيونية) لا يختلف عن الأنماط السياسية السائدة في المجتمع، وأن طريقة تصويتهم في الانتخابات تختلف (إلا في بعض التفاصيل) عن النمط السائد في المجتمع. في نظر مثلاً أن يهود الولايات المتحدة كانوا بتهمة حتى عند قريبين اتجاهًا ليبراليًا وكان اغلبهم يصوتون لصالح الحزب الديمقراطي. ومع ذلك، في هذا، لا يختلفون كثيرًا عن أعضاء الائتلافات الأخرى أو عن سكان المدن، وهم، في هذا، لا يختلفون كثيرًا عن أعضاء الائتلافات الأخرى أو عن سكان المدن. وهم يتكونون جماعات ضغط تنتحرك داخل النظام السياسي ولكنها لم تختلف في هذا من الائتلافات وجماعات الضغط الأخرى (نالديمقراطية الأمريكية لم تُعَد ديمقراطية انتخابية وإنما صارت ديمقراطية جماعات الدين)

وقد أدى تزايد معدلات الاندماج إلى الابتعاد عن النشاط أو الموروث الثقافي التقليدي، وبالتالي إلى ضعف الهوية الأثرية الخاصة. ومن الملاحظ أن أزمة الهوية والشعور بالاغتراب، وهما من الموضوعات الأساسية في الأدب العربي الحديث، وفي المجتمعات الغربية، قد أصابا اليهود الجدد أيضاً، ومن هنا يبحثن الدائن عن هوية. والواقع أن هذا البحث ترم نفسه إلى حاجة نفسية للاسترخاء ووجود ظاهرة معاداة اليهود في كل مكان. ففي غياب أي ضمان إيجابي للهوية، يصبح الآخر العلادي عنصرًا ضرورياً لوجودها ومصدراً أساسياً لها. وقد ذكر أحد المعلقين الأمريكيين أن ساربر يرى أن المعادي لليهود إن لم يجد بهوداً لاختبرهم اختراقاً، ولكن الوضع أصبح معكوساً بالنسبة للأمريكيين اليهود واليهود الجدد، فهم إن لم يجدوا أعداء اليهود لاختبرهم. والمؤسسة الصهيونية تدرك هذه الحاجة النفسية للأمريكيين اليهود، فتقوم بتعميق إحساسهم بالمخاطر 현실ية أو الوهمية المخيفة بهم والمؤامرات التي تحاول ضدهم، وتؤكد على الهولوكوست أو الإبادة nazية باعتبارها موضوعاً أساسيًا فيما يسمى "التاريخ اليهودي". وعلى إمكانية قيام إفران الغاز في بروكلين (نيويورك) أو في كولومبوس (أوهايو) أو حتى في باريس (فرنسا) أو موسكو (روسيا).
ولكن الشكل الأساسي للهوية المعلنة بين الأمريكيين اليهود واليهود الجدد بشكل عام هو إعلان انتسائهم الصهيوني بشكل متماسك حتى يضمنوا ما يشبه المضمون الإيجابي للصداق على هذه الهوية اليهودية الجديدة الهشة المسطحة، فهي تجعل الأمريكي اليهودي فرداً من الشعب اليهودي القديم فوراً بتراثه ورمزه القومي، خصوصاً الرمز القومي الأكبر، أي الدولة الصهيونية. ولكن، بشيء من التحليل المتعمق، يمكن أن يهدد العالم الغربي واليهوديين اليهودي قبلنا الصهيونية حسب شروطهم هم. ونحن نقسم الصهيونية إلى نوعين: صهيونية استيطانية، أي أن يهاجر المواطن اليهودي من بلده ويتصل إلى مستوطن صهيوني في فلسطين، وصهيونية توطينية أو صهيونية الغوث والتعمية والهوية، وهذه صهيونية تترجم نفسها إلى تبرعات مالية لإسرائيل للمساعدة في توطين اليهود الآخرين، وإلى تأييد وضغط سياسي من أهلنا، وإلى مصدر من مصادر الهوية، بحيث يصبح إسرائيل بالنسبة لهؤلاء الأمريكيين اليهود هي البلد الأصلي (مصط فى الرأس) مثل إيطاليا بالنسبة إلى الإيطاليين وأيرلندا بالنسبة إلى الأيرلنديين ولبنان بالنسبة إلى اللبنانيين، فكان الأمريكيين اليهود قد تقبلوا الصهيونية بعد أمرتها، تماماً مثلما فعلوا مع اليهودية.

لكن هذا، لا يهاجر اليهود الجدد إلا بإعداد صغيرة، فمعدل هجرة الأمريكيين اليهود في السنة هو 150 فقط (ولعل هذا العدد قد تزايد قليلاً مع انتشار البطالة في المجتمع الأمريكي)، ولكنهم دائماً على استعداد لإحداث الضوضاء والتظاهر من أجل إسرائيل والكتابة إلى الكونجرس ودفع التبرعات الأخذة في التناقص (لا يساهم سوى 0.2% من يهود أمريكا في الجالية اليهودية الموحدة، كما لوحظ مؤخراً أن ما تحصل عليه الجمعيات الخيرية غير اليهودية من إعضااء الاجتماعات اليهودية في الولايات المتحدة يريد على ما تحصل عليه الجمعيات اليهودية). وقد لاحظ أحد الدارسين أن الهجرة إلى إسرائيل تناسب تناسباً عكسياً مع تصاعد نبرة هذه الصهيونية التوطينية وازدحام حدتها.

لكن الأهم من هذا كله أن هذه الصهيونية لا تشكل رؤية متكاملة للحياة، فهي لا تتسم إلا في جانب واحد وسطحي من الشخصية، إذ تظل فيم اليهودي الجديد و هو منزوعة خبرة علمانية مستقلة. وما ينشر الأمر بالنسبة إلى اليهود الجديد أنه لا يوجد أي تعارض أو تناقض بين مصالح بلادهم ومصالح إسرائيل التي تقبل هذه المصالح في الشرق الأوسط. فتتتبعهم للمستوطن
الصهيوني لا يختلف في أساليبته (وإن اختلاف أحيانًا في نبرته) عن تأييد غير اليهود للمشروع الصهيوني. وهو تأييد مفروض عام تشرّك فيه الحكومات الغربية والمؤسسات الإعلامية والثقافية. وهكذا يشارك اليهودي الجيد في هذا لا يبعد أن يكون صوته في جزء، يسبح مع الضوء ضده. ويمكن الزعم بأن تأييد يهود إسرائيل ينبع أساسًا من أميركتهم، أي من انتهاطهم الأمريكي وليس من خصوصيتهم اليهودية.

ولكن هذا الانتهاط الصهيوني يخبئ كثيرًا من الن |_|
التوتر المتزايد بين الأمريكيين اليهود والسود، وبينهم وبين الكثير من أعضاء الجماعات المهاجرة. وهناك أشكال من التفرقة الاجتماعية غير الملحوظة (نسميه "تحامل")، ولكن مثل هذه التناقضات ومثل هذه التفرقة هي جزء من أي كيان اجتماعي. ويشبه وضع اليهود الجدد في كثير من نواحيه، وضع أية أقلية في أي مجتمع غربي حديث مفتوح، وهذا الوضع شيء جديد تماماً بالنسبة إلى يهود العالم الغربي.
اليهودي غير اليهودي هو عنوان أحد كتب المؤرخ والمفكر التروتسكي إسحق دويتنشر. ويذهب دويتنشر إلى أن ثمة جانباً عالمياً في اليهودية تبدو في الفكر الشوري العالمي لمفكريين اليهود أمثال إسبرينزا وماركس، فهذا الجانب العالمي دفعهم لان يطرووا انساقاً فكرية ثورية عالمية تجاوزت حدود اليهودية بل وحدود كثيرة من الأنظار الفكرية الأخرى. ومعنى ذلك أن تحفت النزعة العالمية الكاملة في اليهودية يؤدي إلى نفي اليهودية. وهؤلاء المفكرون، في تصور دويتنشر، يمثلون كل ما هو عملي في الفكر الحديث سواء في الفلسفة أو علم الاجتماع أو الاقتصاد أو السياسة في القرون الثلاثة الأخيرة. وبري دويتنشر أن السمات الأساسية لهؤلاء المحرقين اليهود هي ما يلي:

1 - الإيمان بالتحميم، وبان العالم يحكمه قانون.
2 - الإيمان بأن الواقع في حالة حركة دائمة وليس جامداً.
3 - عدم انفصال النظرية عن الممارسة.
4 - الإيمان بتضامن البشر في عملية انتخاب إنسانية كاملة.

والعناصر الثلاثة الأولى تعني، في واقع الأمر، الإيمان بالمرجعية المادية الكاملة ونموذج الطبيعة/المادة، أما الرابع فهو الإيمان بعقيدته التقدم. ويفضي دويتنشر أن هؤلاء المفقين اليهود المحرقين يعيشون على حدود الحضارات، وهذا يعمق إيمانهم بصبرورة العالم والتضامن الإنساني العالمي.

ويمكن القول بأن المفقين اليهود غير اليهودي لا يختلفون كثيراً عن المفقين المسيحيين غير المسيحيين. فاليهودي غير اليهودي هو فرد من أصل يهودي وحسب، فقد إيمانه بنظومته العقيدية، وهو مع هذا لا يختلف عن المفقين من أصل مسيحي الذي فقد إيمانه بالعHQيدة المسيحية، فالجميع ينتمي في رقة الحياة.
العامة والرؤية الأممية العالمية الكروزويليتانية. وهذا على كلٍّ هو مبادئ عصر الاستنارة الذي يسعى إلى ظهور الإنسان الأممي الذي لا يرتبط بأية خصوصيات قومية أو دينية أو طبقية، وإن ارتبط بشيء فهو شيء عام مثل الحفاظ على البيئة أو مصالح الطبقة العاملة التي ستغني كل الطبقات وتحقيق المجتمع الشعبي الذي سيسيّر حسب قوانين الاشتراكية العلمية.

وهناك كثير من النشطاء السياسيين في الأحزاب الشيوعية والحركات الثورية الغربية من أصل يهودي، ولكنهم فقدوا علاقتهم باليهودية وتحولوا إلى ثوريين متطوعين يعملون من أجل المثل النرويجي الأممية العالمية التابعة (كما يتصورون) من قوانين الحركة المادية الكامنة والتي تنتبج في جدائل التاريخ، ومن ثم فهي مكلة لا تعرف أي خصوصيات. وقد جعل هؤلاء الثوريون همهم القضاء على ما تبقى من جيوب إثنية يهودية (يديشية في معتنيها) تحت شعار دمج اليهود في مجتمعاتهم وحل المسألة اليهودية من خلال الطرح الشرعي. ومن أهم هذه الشخصيات فردنباند لاسال وكارل ماركس وروزآ لوكسمبورج وليون نروتسكي.

ورغم العداء الشرس من قبل هؤلاء المثقفين اليهود غير اليهود ليهودي واليهودية، ظلت الجماهير الشعبية تصنفهم على أنهم "يهود"، حتى أن الثورة البلشفية كانت تدعو "الثورة اليهودية". وبعد هذا إلى أن أعداد هؤلاء اليهود غير اليهود في صفوف الحركات الثورية الاشتراكية، بل وفي قياداتها، كان أمراً ملحوظاً. ولكن هناك يعود ذات القضايا في شرق أوروبا (حيث كانت توجد غالبية اليهود وحيث استولت الأحزاب الشيوعية على ظلم الحكم). فاعضاء الجماعات اليهودية كانوا يلعبون دور الجماعة الوظيفية في مجتمعاتهم التقليدية، وكانوا أداة قمع في يد الطبقة الحاكمة (فكانوا جامعي الضرائب وكانوا وكلاءهم الماليين والتجاريين). ووجود اليهود غير اليهود الملحوظ في الأحزاب الشيوعية في شرق أوروبا، خصوصاً في النظم السلافية، جعل الناس يدركون مرة أخرى أنهم جماعة وظيفية يهودية جديدة تلعب مرة أخرى دور العميل لحسب القوة الشيوعية الروسية أو المحلية التي تقوم بإبرازهم. ورغم أن هؤلاء المفكرين والمواطنين الثوريين من اليهود غير اليهود لم ينظروا بين اليهود وغير اليهود، وكانوا أداة أمينة في يد نظامهم الحاكمة في عملية القمع، إلا أن العقل الشعبي لا يميل إلى التمييز بين الظلال المختلفة بل يميل إلى إدراك الواقع من خلال مادج محزنة له .
خصوصًا وأن هناك ترازاً تاريخياً يدعم هذا النموذج. ولذلك، فهناك مفارقة تستحب التأمل وهي أن رغم اختفاء اليهود من هذه البلاد، إلا أن شعبها لا تزال تمارس عدداً حقيقياً لليهود.

ويمكن أن نوسع نطاق مصطلح "يهودي غير يهودي" لتشير إلى أي مواطن من أصل يهودي تأكل أطعمة اليهودي (سواء من الناحية الأثلى أو الدينية) أو اختفى تماماً، فهو الإنسان المسلم تماماً في محيطه يقبل على الزواج المختلط ولا يعيش في جيبه أو في أي قسم من أقسام المدينة مقصورة عليه، كما لا يتصاحب بأي تمسك ديني أو ثقافي، فهو من اليهود الجدد أصحاب الهوية اليهودية الجديدة، ورغم كل هذا يصنف على أنه "يهودي" إما من قبل ذاته أو من قبل الآخرين، ومن ثم تصبحوه إما شيئاً مفروضاً عليه من الخارج أو إدعاه ليس له ما يسانده إلا في سلوكه ولا رؤيته.

1 - وإذا كان "اليهودي غير اليهودي" قد صنف بهودياً رغم أنه يهودي (وهذا ما كان يحدث في العالم الغربي حتى الحرب العالمية الثانية)، فهو عادةً ما يكثر بجوائب سلوكه أو شخصيته التي يسميها الآخرون "يهودية"، بل ويحاول قدر استطاعته أن يبين أنها هامشية وحس بالاستياء إن أصر الآخر على مركبة انتقاه اليهودي.

invisible Jews (بالإنجليزية: إنفيسيبل جوز) ضمن هؤلاء. ففي أثناء الحرب العالمية الثانية أتى الكثير من اليهود أن يخففوا هويتهم خوفاً على الاضطهاد النازي كما أن الفاسكيان أعلوا الألوم شهادات تمبديد تسهل لهم عملية الهجرة أو التخفية. وفي الأحجام السوفييتية كان من حق المواطن اليهودي أن يسجل نفسه روسياً أو أوكريانيا إن شاء، أو يهودياً إن فضلاً ذلك. وقد أثر مثل الألوف تسجيل أنفسهم روسياً، ومن أشهر هؤلاء مادلين إيرلبرت، وزيرة الخارجية الأمريكية، التي اكتشف أمرها؛ وكذلك روبرت ماكسويل، الناشر الإنجليزي.

2 - لا شك أن يُصنف اليهود الحفظون (بالإنجليزية: إنفيسيبل جوز) ضمن هؤلاء. ففي أثناء الحرب العالمية الثانية أتى الكثير من اليهود أن يخففوا هويتهم خوفاً على الاضطهاد النازي كما أن الفاسكيان أعلوا الألوم شهادات تمبديد تسهل لهم عملية الهجرة أو التخفية. وفي الأحجام السوفييتية كان من حق المواطن اليهودي أن يسجل نفسه روسياً أو أوكريانيا إن شاء، أو يهودياً إن فضلاً ذلك. وقد أثر مثل الألوف تسجيل أنفسهم روسياً، ومن أشهر هؤلاء مادلين إيرلبرت، وزيرة الخارجية الأمريكية، التي اكتشف أمرها؛ وكذلك روبرت ماكسويل، الناشر الإنجليزي.

3 - لا شك أن يُصنف اليهود الكاره لنفسه هو أيضاً يهودي غير يهودي.

4 - بل وعلى المستوى العميق، يمكن القول بأن كل الصهاينة هم "يهود غير يهود"، فالضمون اليهودي لحياة معظم صهاينة العرب يكون منعدماً.
وهم يهود كارهون ليهوديتهم ويودون إلغاء الوجود اليهودي في العالم ليحلوا محله تمطاً إنسانياً جديداً (طبيعيًا) لا ينتمي إلى شذوذ أو طفيلية، وهو ما يسمى الإنسان العبري الجديد.

- بلغ الاختلاط درجة كبيرة حتى أنه ظهرت في الأحصاءات الخاصة بالجماعات اليهودية في العالم مقولة جديدة كل الجدد وهي «يهودي بشكل ما (Jewish in some way) بالإنجليزية: جويش إن سم ويب) لا تختلف عن تعريف سارتر لليهودي بأنه هو من يشعر في قرارة نفسه بأنه كذلك».

- أما «اليهودي غير اليهودي» الذي يدعى اليهودية ويتباهى بها (وهذا هو النمط السائد بعد وفاة بلفور والحرب العالمية الثانية)، فهو على العكس من ذلك، حيث يتباهي بانتمائه اليهودي مع أن حياته وسلوكه وصوابه تكون خالية تماماً من أي مضمون يهودي ديني أو إثني. وهو يسعى دائماً إلى إبراز جوانب شخصيته التي يتصور أنها يهودية.
ادعاء اليهودية هو أن يدعى شخص غير يهودي وليس له أي جذور يهودية على الإطلاق، أنه يهودي. والمصطلح يفسره بنفسه بنطاق على يهودي مدمج تمامًا (يهودي غير يهودي) نسي يهوديته، ولكنه تحت ظروف معينة يدعى أنه يهودي. وهذه الظاهرة ظاهرة حديثة تمامًا، فعبر التاريخ كان «النمور» يعني الانضمام لأغلبيتها لها طقوسها وشعائرها ووظائفها التي تتعزلها عن المجتمع، والتي لها وضع مختلف عن وضع الأغلبية، ولذا لم يكن هناك أي مير لأداء اليهودية.

وقد ظل الوضع كذلك إلى أن ظهرت الحركة الصهيونية وأقيمت دولة إسرائيل التي فتحت أبوابها للمهاجرين (بخاصية من الدول الغربية) وقدمت لهم في الحركة الصهيونية تسهيلات مادية وعينية مختلفة ومنحة مالية مباشرة. وقد شجع هذا بعض العناصر اليهودية من فقدها علاقاتهم باليهودية على إعادة اكتشاف هذه العلاقة حتى يمكنهم عن طريقها تحقيق المزايا المادية. ولكن الظاهرة ظلت هامشية إلى حد كبير.

ولم تكن الهجرة السوفيتية في بداية التسعينيات (والتي تزامنت مع تأجل الاتحاد السوفيتي ثم سقوطه) تفاقمت الظاهرة حتى أن كثيراً من اليهود المتحرين أو المواطنين السوفييت من أصل يهودي الذين سجلا أنفسهم على أنهم غير يهود (وهو أمر كان يسمح به القانون السوفيتي) بدأوا يؤكدون هويتهم اليهودية المزعومة، وانضمت لهم بعدادة متزايدة عناصر غير يهودية على الإطلاق (من بينها عناصر مسيحية بل وعربية). وبغال ما بين نصف أو ثلث المهاجرين اليهود السوفييت في التسعينيات غير يهود (مدعو اليهودية أو زوجاتازواجه يهود).

ولا يقتصر الأمر على الاتحاد السوفيتي (سابقاً) فمن المعروف أن عدد اليهود

57
في مدينة مكسيكيوسبيتي كان يبلغ حوالي عشرة آلاف ثم قفز إلى 35 ألفاً في عام واحد بعد أن بدأت بعض المنظمات اليهودية الأمريكية تقديم العون للجماعة اليهودية في المكسيك.

وقد تكررت الظاهرة مرة أخرى في إثيوبيا، فال فلاشة ليسوا يهوداً بمعنى الخاخي، ومع هذا سمح لهم بالهجرة إلى إسرائيل. ثم بدأ الفلاشة موراه بالمطلبة بالهجرة باعتبارهم يهوداً، مع أنهم فلاشة تنصروا منذ قرنين من الزمان.

ويرى الإسرائيليون أن العبرانيين السود أو اليهود السود (من الولايات المتحدة) من مدعى اليهودية. وفي الأعوام الأخيرة، بدأت الظاهرة تأخذ شكلًا حادًا إذ بدأ أفراد بعض القبائل في آسيا وأفريقيا يعلنون أنهم «يهود» (من نسل القبائل العبرانية العشر المفقودة) ومن ثم يحق لهم الهجرة إلى إسرائيل بموجب قانون العودة. وبعض هذه القبائل توجد في شعائرها بالفعل عناصر عربية أو يهودية، ولكنها لا تجعل عقيدتهم عقيدة يهودية (بأقصى المعابر تقاسحًا بل ونسبة).

ومن ثم لا يمكن تصنيف أعضائها على أنهم يهود. ولكن معظم أعضاء الجماعات اليهودية لا يعرفون بعبارة اليهودية الخاخية. وقد عرفت المحكمة الإسرائيلية العليا اليهودي بأنه من يرى نفسه كذلك. وهذا يخلق ورطة حقيقية للمُستوطن الصهيوني. ولذلك، فقد تعالج الأصوات ولأول مرة في تاريخ الصهيونية مطالبًا بإلغاء قانون العودة.
أعضاء أجناس اليهودية
وقضية القومية

ما يُقال له "المسألة اليهودية" هو، في جانب أساسي منه، مشكلة "الهوية اليهودية" في التشكيل الحضاري الغربي، التي تعود بجاذوبة إلى العصور الوسطى في الغرب إذ أن أعضاء الجماعات اليهودية عربوا هناك دور الجماعة الوطنية الوسيطة كتجار ومرابين، الأمر الذي أدّى إلى عزلهم عن بقية أعضاء المجتمع. وما دعم هذه العزلة، علاقات الجماعة الوطنية اليهودية (في كل بلد أو مدينة أوربية) مع الجماعات الوطنية اليهودية الأخرى في أنحاء العالم العربي والإسلامي، وهي علاقات كانت تشكل ما يشبه النظام المعرفي والاقتصادي العالمي. وقد خلق هذه العلاقات وهم الوحدة، بحيث كان المراقب الخارجي يتصور أن اليهود يشكلون وحدة قومية بسبب علاقاتهم التجارية والمالية، وهم في الواقع جماعات غير متجانسة تنشأ إلى تشكيلات حضارية مختلفة وربطها رباط الوطنية الاقتصادية والاجتماعية (وهذا ما سماها إبراهام ليون "الطبقية/الامة")، ومن أسباب تدعيم العزلة، أيضاً، التحصين السريحي لهم باعتبارهم قتلة المسيح والشعب الشاهد (على عظمة الكنيسة وصدقها). وقد تبدي كل هذا في شكل استيابان وتوطين اليهود في الجينو. وهذه بالطبع صورة تموجية مثالية تختلف كثيراً عن الواقع الحي الذي كان أكثر تماوجاً وتركيباً.

وقد ظل هذا الوضع قائماً في أوروبا، بصور مختلفة، حتى القرن السابع عشر، حين بدأت تظهر الطبقات البرجوازية المحلية (المسيحية) ثم الدول المطلقة ورؤيتها الدولة القومية الحديثة التي بدأت تضطلع بكل وظائف الجماعات الوطنية، وهو ما أدى إلى الاستغناء عنها، وانهيار الهيكل القانوني والسياسي الذي كان يجسد عملية الفصل بين الطبقات من ناحية، والجماعات الدينية والإثنية التي كانت تدار على أساسها الدولة في المجتمع التقليدي من الناحية
الخريطة. وقد طالبت الدولة القومية الحديثة أعضاء الجماعات اليهودية وكل
الأقليات بالتعامل من خصوصياتهم الدينية أو الإثنية أو العرقية، و بأن يقوموا
بإعداد تعريف هويتهم بشكل يتفق مع ما تتطلبه من ولاية قومية كاملة من كل
المواطنين. وحزمت تحليلهم من أثراهم الوظيفي والاقتصادي. وهذه عملية
يمكن أن تكون على مصطلح "تجديد الهوية" أو "العامة الهوية". وترمز هذه
العملية وتكون حينما يتحول أعضاء الجماعات اليهودية من جماعة وظيفية
وسيطة إلى أعضاء في الطبقة الوسطى، أو أي من الطبقات الأخرى في المجتمع.

ومن منظور التحديث، يمكننا أن نقول إن هويتيتين اليهوديتين أساسيتين ظهرتا
في التشكيل الحضاري الغربي في القرن السابع عشر، أولاًهما، الهوية اليهودية
في المجتمعات غرب أوروبا ووسطها، في إنجلترا وفرنسا وإيطاليا، وفي المانيا بدرجة
أقل، ثم في الولايات المتحدة، وهي مجتمعات تنتمي بها لم تكن نقم أعداداً
كبيرة من أعضاء الجماعات وبناء عملية التحديث نجحت فيها إلى حد كبير، وتم
إعتاق أعضاء الجماعات وإعطائهم حقوقهم السياسية والمدنية، كما تم دمجهم في
المجتمع اقتصادياً وثقافياً، حيث أصبح الاندماج هو المثل الأعلى. وقد نشأت، في
هذا الإطار الإدراقي، اليهودية الإسلامية التي ص لتبوأ اليهودية الدينية عن الهوية
القومية أو الإثنية تماماً، وعلقت الهوية اليهودية تعريفاً دينياً خالصاً. وقد أجريت
اليهودية الإرثوذكسية امرأة مثالاً بان جملت هوية اليهودي مسألة دينية أساساً،
وحلت تحلص الجانب القومي من العقيدة اليهودية مرتبطاً بالإرادة الإلهية، وهو
كما تقدمت الحملي ناتي الذي طرحته اليهودية الحالية للأشكال الإسلامية المشيخية.
وقد اندمج بيدر هذه المجتمعات انتماجاً كاملًا، و كانوا يتحدثون الفرنسية في
فرنسا والإنجليزية في كل من إنجلترا والولايات المتحدة، واليهودية اليهودية في
المانيا، وفي كثير من بلاد رست أوروبا، تنتمي إلى النصف نفسه رغم
اختلاف الظروف، ولا يمكن فهم هوية الجماعات اليهودية في هذه البلاد إلا في
السياق الحضاري لكل منهما. وباتخاذ تراجع البعددي مع تضافر
معدلات العلمانية فاعيد تعريف الهوية اليهودية على أساس إنساني علماني ولكن
البعد اليهودي (الإثني والديني) ظل هامشياً للغاية. ولذلك، تأخذ التطورات
القومية اليهودية ليهود الغرب، إذا وجدت، شكل حديث ديني للعودة إلى
صهون (الروحية) إن كان اليهود من المتدينين، أما إذا كانوا من العلمانيين.
فإنها تأخذ شكل حماس عاطفي لهويتهم الإثنية، لا يتميز نفسه ببداية استيطانية وإنما تأخذ شكل صهيونية توطينية، أي يصرح إلى توطين اليهود الآخرين حتى يصبحوا مواضعهم الطبقية ومكانهم الاجتماعية. وهذه هي هوية ما بعد الأنيع أو الهوية اليهودية بعد تحولها أو الهوية اليهودية الجديدة.

أما الهوية اليهودية الثانية، فقد نشأت في مجتمعات شرق أوروبا بين يهود الباليديشية، خصوصاً في بولندا وروسيا. وهذه المجتمعات دخلت العصر الحديث متاخرة وساهمت فيها (في القرن التاسع عشر) ظروف تشهده العوامل الصحية في العالم الثالث في الوقت الحاضر، إذ تعتبر هذه التطورات لسنوات طويلة ابتداءً من عام 1882، كما أنها كانت تضم أعداداً ضخمة من أعضاء الجماعات اليهودية، بل معظم يهود العالم. وكان أعضاء الجماعات اليهودية في هذه المجتمعات يتداولون الباليديشية في محور ديني، ويؤمنون باليهودية في محيط مسيحي أو روماني محاذاة. كما أن روسيا كانت تأخذ شكل إمبراطورية مكونة من قوميات لكل منها لغتها وثقافة كلها. ولذا، لم يكن اليهود، كمجتمع له ثقافته ولغته، يمثل استثناء كبيراً. وقد بذلت محاولات في نهاية القرن التاسع عشر، لصوغ اليهود، وغيرهم من الجماعات، بالصيغة الروسية أو البولندية. ولكن، مع تلك التطورات، توقفت هذه المحاولات.

ودخل هذا الإطار، وفي هذه المرحلة (أواخر القرن التاسع عشر) طُرحت فكرية تصورات للهوية اليهودية تستند إلى تجربة أعضاء الجماعات اليهودية في تلك المنطقة. فكان هناك التصور الأندلسي الذي يشبه تصور اليهود للهوية. ولكن، كان هناك تصورات أخرى تُظهر لهما الشيوع في عصر يهود شرق أوروبا.

أ) قومية الدياسبورا:

حاول دعاة قومية الدياسبورا (سيمون دنوف، وحزب البليد) المنثرون بنجاح تصور اليهود أوروبا وتراثهم، أن يعرَّفوا الهوية اليهودية تعريفاً ثقافياً أو تراثياً وحسب، بإسقاط الجانب الديني تماماً، إذ رأوا أن الهوية اليهودية هي أساساً للإنسان إلى التراث الثقافي اليهودي. كما لم يريطوا هذا التراث بفلسطين أو باي مركز محدد آخر، فهم برون أن مركز اليهودية الثقافية ينتمي من بلد إلى آخر كما أنهم يرفضون أي إطار عالمي للهلويّة، ولا يعرفون وجود ثقافة يهودية
عالمية، ويرون أن كل جماعة يهودية مرتبطة بحركيات تاريخية مختلفة ولها هوية مختلفة وتراث يهودي مختلف، ولذا فإن كل جماعة تبحث عن حلول لمسألتها داخل حدود تاريخها الخاص والمعتبرًا خارجيةً رؤية تاريخية عامة. وهذا يمكن القول بأنهم لا يتحدثون في واقع الأمر عن "قومية الديسبرسيا" (كما يتوهمون)، وإنما عن هوية يهودية شرق أوروبا (يديشية) متفاعلة مع التشكيل الحضاري الذي يوجد فيه، وأنطلاقًا من تلك الرؤية، يرى دعة قومية الديسبرسيا أن اللغة التي تُعتبر عن هذه الهوية اليهودية ليست العبرية (اللغة الدينية العالمية لليهود)، وإنما اليديشية، وحينها استنفت الثورة البلشفية عملية التحديث في روسيا، ناصبت حرب اليهود العداء لأسباب سياسية في البداية، كما رفضت تصوره للهوية اليهودية المحدودة الشرق أوروبية، ولكنها عادت في الثلاثينيات واعتبرت بها، بلغتها المستقلة، وشخصيتها الثقافية المستقلة التي يُمكن أن تتحقق داخل الإطار السوفيتي. وانطلاقًا من ذلك حددت مقاطعة بيروبجيان، كمقاطعة مستقلة، لغتها الرسمية اليديشية، وكان بإمكان هذه المقاطعة، من الناحية النظرية، أن تتحوَّل إلى جمهورية مستقلة (داخل أتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية) لو هاجر إليها عدد كاف من اليهود. وقد ظلت الهوية اليديشية مزدهرة في الفجوة الزمنية بين تطور التحديث واستثنائه في الأتحاد السوفيتي وبين هجرة يهود شرق أوروبا إلى الولايات المتحدة واندماجهم فيها، وهي تقع على وجه التدريب بين بداية القرن الحالي وأواخر الاربعينيات. ولكن مع تطابق معدلات التحديث والعلمنة يُدأب الهوية اليديشية في التناقل السريع، وساهم النازيون في القضاء على البقية الباقية من هذه الهوية، مع الستينيات لم يُعد للهوية اليديشية من أثر في العالم.

(ب) الحقل الصهيوني:
حاول الصهاينة العلمانيون، أو اللادينيين، إعادة تعريف الهوية اليهودية تعريفًا يؤكد الجانب القومي ولا يُعنى بالجانب الدينى إلا يُعرى تعبيره علمًا يُسمى "القومية اليهودية". وقد أسس هؤلاء مجتمعهم الصهيوني استنادًا إلى هذه الرؤية. ومع هذا، ظهرت داخل الحركة الصهيونية جماعات من الصهاينة العلمانيين الذين رأوا أن الدين اليهودي والقومية اليهودية هما شيء واحد، وأن الهوية اليهودية هوية قومية دينية، الأمر الذي أدى إلى تصعيد التفجiras داخل الكيان الصهيوني.

62
التعريف الصحيح للمؤسسة اليهودية

تُعدّ الصهيونية، في أحد جوانبها، محاولة لإعادة تعريف اليهود تعريفاً يتفق مع وضعهم الجديد في الغرب بعد ظهور الدولة القومية العلمانية وعصر الإعتقاد وسطو الفيلو. وهي، من هذا المنظور، واحدة من كثير من المآلات اليهودية الأخرى، مثل: اليهودية الإصلاحية، واليهودية الأرثوذكسية، وقومية الديبسوبارا. وينطلق الصهاينة اللادينيون من تعريف للهوية هو في جوهره علمنة للكثير من الأفكار القومية الكامنة في التراث الديني اليهودي. فهم يرون أن ثمة هوية قومية يهودية واحدة متجمعة متجمعة متجانسة تفرق بين اليهود وسواهم من أقوام وشعوب في كل زمان ومكان، وأن ثمة مصدر لها. أما المصدر الأول، فهو الضغوط من الخارج، أي أن مصدر الهوية اليهودية ليس من داخل اليهودية ذاتها وإنما هو مجرد رد فعل للهجمات إعداد اليهود عليهم، باعتبار أن اليهود جسم قومي غريب في أوطان الآخرين. ومن جهة أخرى يرى بعض الصهاينة المتاثرين بالخطاب الاشتراكي أن مصدر الهوية اليهودية هو الوضع الطبقي المتعمّر لليهود في المجتمع الغربي كجماعة وظيفية وسيطة، واليهودي، بحسب الرواية السابقة، يكتسب هوبه من الغير، وهو تعريف أخذه معظم الصهاينة الأوائل مثل: تيدور هرتزل، وماكس نوردو، وأهارون جوردون، وغيرهم. وبدون أن هذا كان الأتجاه السائد في أوروبا. فعلى سبيل المثال، صرح كارل ليوجرز (المرشح المعادي للهود منصب عبادة فينا) بأنه هو الذي يحدد من هو اليهودي.

لكن معظم الاتهامات الصهيونية لا تأخذ بهذا الرأي الآن، وتطرح تصويرًا للهوية اليهودية على اعتبار أنها شيء نابع من مصدر آخر هو حركيات ما يسمى "التاريخ اليهودي" المرتبط بفلسطين (إرتس يسرائيل في الخطاب الديني). وهذا المجال الزمني المكاني هو المجال الوحيد الذي تستطيع فيه هذه الهوية أن تُعبر عن
نفسها تعبرًا كاملاً، مثلما حدث تحت حكم المملكة العبرانية المتحدة (أو الكومنولث الأول) وحكم الدولة الخشمونية (أو الكومنولث الثاني)، إلى أن تم هدم الهيكل.

وبرى الصهاينة أن هويات يهود المنفى المندمجين ليست إلا انحرافًا عن مسار هذا التاريخ. ولذا، فهم يطلقون في تعريفهم الهرمية اليهودية "الحققة" من انتقادات جذرية لهذه الهويات، مستخدمين كثيرًا من اطروحات أدبيات معايدة اليهود. فاليهود المندمجون شخصيات مريضة مصابة بالازدرار والانقسام، مشوهة وهاشمية، وهم يحاولون إخفاء هويتهم اليهودية الكهشيبة والإعلان عنها بشكل مُترقب، الأمر الذي يجعلهم يشعرون القرة التي تقلد ما لا تعي. وستلقي كل هذه الأوضاع الشاذة حالتها يؤسس الصهاينة وطنًا قوميًا يُثقب الشخصيات اليهودية من خلال التعبير عن نفسها بشكل سوي تعبرًا كاملاً، بحيث يصبح اليهود شعبًا مثل كل الشعوب. وسيحقق اليهود من خلال الدولة، وبوصفهم شعبًا، ما فشلوا في تحقيقه بوصفهم أعضاء في مجتمعاتهم. وهذا ما يُسمى في المصلحة الصهيونية "تطبيق الشخصية اليهودية". وبحسب الرواية الصهيونية، فقد بدأت هذه العملية بالفعل في عام 1948 - عام إعلان الدولة الصهيونية (الكومنولث الثالث). لكن تطبيق اليهود لا يعني تصفية الهوية اليهودية وإنما يعني أنهم هوية يهودية جديدة سوية؛ هوية اليهودي الحاصل (اليهودي المخلص) على حد قول بن جوربون. وقد طرحت تصويبات عدة لصدور يهودية هذا اليهودي المخلص ولسانته وجوهره.

1 - التعريف العرقي:

يُصَر المدافعون عن هذا التعريف على رؤية اليهود كعنصر عرقي متميّز، ولذا فهم يتحدثون عن "الجمجم البهودي" وعن اليهود باعتبارهم "جنسًا متميّزًا". وقد عرف كثير من الزعماء الصهاينة اليهودية بأنها "مسألة تتعلق بالدم"، وانطلاقًا من ذلك، يرى الصهاينة أن التزاوج مع الأجانب سيؤدي إلى تهور العرق اليهودي، وأنه لابد من تأسيس وطن قومي (لهذا الجنس الفريد) ودولة مستقلة يعمر فيها عن عقليته ومارس فيها إرادته. ولكن ثم التخلي عن هذا التعريف تماماً.
في هذه الأيام، إذ أن النظريات العرقية لم تُعْدٌ مقبولة في الغرب، خصوصًا بعد أن تجاوزت في تدمير أعداد كبيرة من اليهود باسم هذه النظريات والاعتبارات.

٢ - التعريف الاجتماعي أو التراثي:

يرى فريق من الصهاينة أن اليهود جماعة متوازنة ذات تاريخ مشترك منفصل ومحدد، وأن ثمة روابط ثقافية (وليس فقيرة) فريدة بقيت على مدى قرابة أربعة آلاف سنة بين اليهود، وأن ثمة صُمِّمًا في أوضاع اليهودية التاريخية، والخلفية، والمختلفة من بلد إلى بلد، وهم بروز أن ما حفظ وحدة اليهود هو الدين اليهودي، لا من حيث هو عقيدة وإنما من حيث هو إطار رمزي ويُعد أساسًا من أبعاد التراث اليهودي. فالدين هو الرؤى الوحيد الذي وُضِعَ في إطار الاستعمار والتجانس الإثني وبناءً عليه، تكون الدولة الصهيونية في الإطار الأمثل لكي تُعْرَب هذه الإثنيّة عن نفسها.

٣ - التعريف الديني:

لم يقبل الصهاينة الدينيون التعريف اللادينيّة السابقة، وحاولوا استرجاع قيادة الهوية اليهودية. وهكذا، فهم أن هوية اليهود القومية مصدرها الدين، إذ لا يمكن التفرقة بين القومية اليهودية والعقيدة اليهودية. فاليهود أمة مقدسة، وكأن مبنا الحياة مصدر يتكون هو هويته من علاقته الخاصة بالرب، ومن رسالته الخالدة بين الأشياء الأخرى. والتعريف الدينلي لا يستبعد العنصر الإثني، فالهوية اليهودية (بسبب تعريف النصيرة كما قلنا) ذات أسس ديني إثني. كما أن الهوية اليهودية (كما يُعرَب عنها الصهاينة اللادينيون) لا تعمل معها أيّ أعباء إثنيّة، بل تنتمي اليهود حقوقهم القومية كاملاً دون أيّة مسائلية تجاه الأشياء. ولذا، لا يوجد أي تناقض جوهري بين التعريف الإثني اللاديني والتعريف الإثني الديني. ومع هذا، يظل مصدر الشرعية في كلا التعرفيني مختلفة، مصدر الشرعية والقداسة في القول الصهيوني العلماني هو الشعب اليهودي ذاته. أما في القول الديني، فإن مصدر الشرعية هو الخلق الإلهي في هذا الشعب. وحينما يحدث اللدودون عن اليهودي، فإنهم يستخدمون، كما هو متوقع، معيارًا أثريًا/كسيًا.
والتعريف السائد الآن في المُستوطن الصهيوني هو التعريف الصهيوني اللاديني الإثني بالدرجة الأولى، ويليه التعريف الصهيوني الذري الإثني. ومن الملاحظ أن التعريف الذري أخذ في الشيوخ والانتشار منذ نهاية الستينيات. كما أن الصراع بين الشروان يُغبر قضية اليهودية التي يُشار إليها بسؤال «من هو اليهودي؟».

ومن الضروري أن نتبه إلى أن مقولة اليهودية اليهودية في السياق الصهيوني الاستيطاني ليست مجرد مقولة نفسية أو فلسفية أو دينية، فهي مقولة قانونية تحمل مضموناً سياسياً واقتصادياً محدداً. فاليهودي، في الدولة الصهيونية، مزايا وحقوق معينة لا يتمتع بها غير اليهودي. كما أن ثمة وكالات ومؤسسات صهيونية عديدة تُموله يهودي خارج وتُعدّ الترجمة الفعلية والموسمية لمقولة اليهودي هذه، فهي مؤسسات تمثل المساعدة لليهود وحسب، وتحكي عن غير اليهود. وأهم هذه المؤسسات الصندوق القومي اليهودي الذي يمتلك معظم أراضي فلسطين المحتلة باسم الشعب اليهودي، والذي تُحرم قوانينه بيع هذه الأراضي أو تأجيرها لغير اليهود، أو حتى استخدامهم للعمل فيها. وبذلك يمكننا أن نقول إن التعريف الصهيوني للهوية اليهودية هو الأساس النظري للممارسات الصهيونية العنصرية ضد العرب. بل إن عملياتضم الأراضي تتم باسم هذه الهوية. ومثل ذلك، حذرما الحاكم آرون سولوفاشيك (زعيم اليهودية الأرثوذكسية في الولايات المتحدة) من أن قبول التعريف العلماني لليهودي سيقوم بعناصر الضغط على إسرائيل لأن تتنازل عن الأراضي المحتلة وعن أجزاء من القدس وحائط المبكى، حيث إنها ضمنها باسم الهوية اليهودية و باسم الحقوق التي يتمتع بها اليهود.
الهيئات اليهودية والتنافس بين الروحية الصهيونية والمحارس الإسرائيلية

كانت كل جماعة يهودية تمثل حريتها التاريخية والدينية بمعلٍ من الجماعات الأخرى، وكانت كل منها تطور هويتها الدينية والإثنية من خلال التشكيك الحضاري الذي توج فيه وتعامل معه وتسمي نفسها هيودية، وذلك دون البحث عن خاصية جوهرية تنطوي كل أعضاء الجماعات معاً، ومنذ الحاجة إلى تعريف دقيق وعالمي وشامل للهوجوي.

وكان الصهاينة اللادينيون، حتى عام 1948، يتحدثون بحرية شديدة عن الشعب اليهودي الواحد (بالألمانية: Ein Volk)، وبالتالي عن الهوية اليهودية الواحدة والقومية اليهودية. كما كان الصهاينة الثانيون قانوناً بدورهم الثاني في الحركة الصهيونية، ولكنهم كانوا يتحزين الفرصة ليفضّوا تعريفهم القومي الديني الأدبي الكسي. وقد تم إعلان قيام الدولة الصهيونية باعتبارها دولة مستقلة وحسب، وإنما باعتبارها دولة يهودية ليست مفصورة على مواطنيها، فهي أيضاً دولة الشعب اليهودي بأسره داخل فلسطين وخارجه. وترى هذه الدولة أن مصدر شرعية وجودها هو يهوديتها، ومن هنا محورية تعريف الهوية اليهودية، ومن هنا أيضاً حتمية ظهور النتائج الكامنة.

وقد أصدرت الدولة الصهيونية عدة قوانين تعطي حقوقاً صاحب الهوية اليهودية. وكان أول هذه القوانين قانون العودة (عام 1950) الذي يعني لأي يهودي الحق، أيما كان في الهجرة إلى إسرائيل (فلسطين المحتلة)، والاستيطان فيها. ثم صدر عام 1952 قانون تكميلي هو قانون المواطنة الإسرائيلية، والذي يمنح الجنسية الإسرائيلية لكل المهاجرين اليهود. ولكن كلا القانونين لم يُعرف من هو اليهودي، وتركت القضية معلقة. وقانون العودة ليس القانون الوحيد الذي
يتعلق تعريف اليهودي، إذ تتم الإشارة إلى اليهودي في الدولة الصهيونية في سياقين آخرين. فقانون تسجيل المواطنين يتعرض لهذه القضية إذ تتضمن الهوية في إسرائيل البنود المعتادة مثل الجنسية (إسرائيلي)، والديانة (يهودي أو مسلم أو مسيحي)، ولكن هناك بنادًا ثالثًا خاصًا بالقومية (عربي بالنسبة للعرب المسلمين والمسيحيين، يهودي بالنسبة للإسرائيليين اليهود). ولا يلزم أن يتفق البيدان الخاصان بالديانة والقومية في حالة الإسرائيليين اليهود باعتبار أن الصهيونية في أحد تعريفها للهوية توحد بينهما.

أما السياق الثالث الذي يتم الإشارة فيه إلى اليهودي فهو المحاكم الحاخامية التي تمارس السلطة المطلقة في أمور الزواج والطلاق، والتعريف الذي تأخذ به هذه المحاكم هو التعريف الديني القومي (الآرثوذكسي) وحسب، وهو يستبعد أي تعريف آخر. ويمكننا أن نتحدث عن عدة تناقضات أساسية، واجهها الصهابة في محاولتهم تطبيق المثل الصهيوني، ولكنهم فضلاً عن ذلك، واعد إرجائها وعدم التعرض لها:

1 – التنافس بين الدينين واللادينين:

التعريف الديني الآرثوذكسي لليهودي أمر معاصره آرثر شريعة اليهودية الحاخامية. أما التعريف القومي (غير الديني)، فهو مسألة غامضة للغاية، إذ أن من الصعب تعريف هذه الخصائص القومية الفريدة التي تميز هذا الحشد الهائل من الجماعات اليهودية التي تحتوي بهويات متعددة. ومن الصعب كذلك، بل وربما من المستحيل تعريف اليهودي الملحد أو اليهودي الإثنى، أو اليهودي غير اليهودي. وفي نهاية الأمر، تصبح المسألة مسألة إحساس داخلي غامض يمارسه اليهودي بوجود هذه الخصائص اليهودية داخله. ولذلك، يشير بعض المعالقين إلى التعريف الديني بأنه تعريف موضوعي، أي يستند إلى مقاييس خارجة عن الذات ويعقد احتمالاتها. أما التعريف العلماني، فهو تعريف ذاتي يستند إلى حالة شعورية تنافتا في حدتها وأعمقها من شخص إلى آخر. وبالفعل، تعترف الأوساط العلمانية اليهودي بأنه من يشعر في قراءة نفسه بأنه يهودي ويعلن ذلك بالإخلاص دون الحاجة إلى قرائن خارجية، وهو تعريف يخلق من المشاكل أكثر ما يحل.
ولإيضاح هذه النقطة، يمكن أن نشير إلى العاهرات وتجار الرقيق الأبيض والقوميون من أعضاء الجماعة اليهودية، الذين تركزوا في الأرجنتين، وكونوا قطاعاً اقتصادياً كبيراً وجماعة ضاغطة، وأصبحت لهم مؤسسات خاصة من نواد ومسارح ونظام رفاه اجتماعي. وهذه مسالة مفهومة تماماً في إطار علماني مادي حيث يقوم من لهم مصالح مشتركة بتنظيم أنفسهم. ولكن المشكلة ظهرت حينما أصير هؤلاء المشتغلون بهذه المهنة الشائنة على اتحادهم أو هويتهم اليهودية، ومن ثم كانت لهم معابدهم الخاصة وحاخاماتهم الذين يشفون باحتياجاتهم الروحية، بل وكأنوا يخرجون في استعراضات أو مواقف في الأعياد الدينية اليهودية! وهي عن القول أن هذا كان يسبب شحناً شديداً لأعضاء الجماعة اليهودية، فظلاً يحاربون هذا الجيب الذي يصرّ على يهوديته حتى يتحوا في القضاء عليه تماماً. وكلما تبقّى من هذا الجيب هو ملحاً للبغاء اليهوديات العجائز في بيونس أيرس.

2- التنافس بين السفارد والإشكناز:
يمكن القول بأن الصهيونية، على مستوى الممارسة منذ أول أيامها وحتى عام 1948، فقد عُرفت اليهودي بأنه اليهودي الأبيض (الإشكنازي)؛ وكانت في هذا، متسقة تماماً مع نفسها، فقد كانت تقدم نفسها باعتبار أنها تتم داخل إطار التشكيك الاستعماري الاستيطاني الغربي، ولذا كان على الصهيونية إثبات بياض بشيرة اليهودي حتى يتسنى للمستوطنين أن يشاركون في حمل عبء الرجل الأبيض، ويستفيدوا في الوقت نفسه من الأمن العسكري والدعم الاقتصادي الذي يوفره القائمون على المشروع الاستعماري، ويحلوا محل أحد شعوب آسيا وأفريقيا. وقد بذل آذان رؤين، أحد أهم علماء الاجتماع الصهيونية والمسؤول عن الاستيطان في فلسطين لفترة طويلة قبل إنشاء الدولة، جهداً علمياً قانوناً لإثبات أن اليهودي هو الإشكنازي وحده وأن الشرقيين ليسوا يهوداً. وهناك العديد من البيانات والنصوص تُعَرّض عن هذا الموقف. لكن هذا الموقف يتناقض تماماً مع موقف الصهيونية الأساسي، فالصهيونية تكتسب شرعيتها من زعمها بأنها حركة الشعب اليهودي بشركة.
3- التناقض بين التعريف الدينية المختلفة:

لا تتحصر المسألة في التناقض بين الدينيين والعلمانيين وحسب، أو بين الأشكناز والسفارديين فقط، وإنما تمتد لتشمل مجال الدينين ذاته. فالآرئوذكس لا يعترفون بالخلاصات الإصلاحيين ولا بالخلاصات المحافظين كيهود. ولذا، فهم لا يعترفون بالملتمدين على أيدي مثل هؤلاء الخلاصات. وفي معرض دفاعهم عن وجهة نظرهم، يذكر الآرئوذكس أن الشرعية، بحسب اليهودية المحافظة، حددت الخطوات اللازمة للتوراة بشكل واضح تماماً كما حددت من هو اليهودي. فلكي يتهود الإنسان ما. يجب أن يتم ختانه إن كان ذكرًا، أما الأنثى فعليها أن تأخذ حماماً طقوسياً وهي عارية أمام ثلاثة حلاصات (وهو الأمر الذي يسبب الخرج للإناث المحتشدة). وعلى المتهود أن يتبقي نير المتمسك (الفرائض أو الأورام والنواحي)، أي أن يعيش حسب قانون التوراة. أما الخلاصات الإصلاحية، فلا يعملون بهذه الخطوات، إذ يكتب عندهم أن يحضر راغب التوراة محاضرة عن التاريخ اليهودي، أو يقرأ مقطوعة من العهد القديم. ويقر الخلاصات الإصلاحية بأن مراسم التوراة التي يقومون بها لا تتبع الشرعية، ولكنهم يجوز في الوقت نفسه على أن هذا لا يمنع كونها مقدسة. أما المحافظون، فبرون أنهم يتبعون الشرعية، لكن الآرئوذكس لا يوافقونهم على ذلك.

ومن المشاكل الأخرى التي ظهرت داخل المعسكر الديني مشكلة قيام اليهودية الإصلاحية بإعادة تعريف اليهودي بحيث أصبح من يولد لأب يهودي أو أم يهودية، وهو ما لا توافق عليه اليهودية الآرئوذكسية واليهودية المحافظة.

4- تناقضات أخرى:

هناك تناقضات يصعب تصنيفها لأنها ذات طابع ديني إثني، وقد نشأت هذه التناقضات أساساً بين المؤسسة الدينية وبعض الجماعات اليهودية الصغيرة بشأن انتظامهم الديني والإثني وما إذا كان هذا الانتماء خالصاً أو أنه هجين.

وكانت أولى المشاكل التي واجهها الصهاينة التناقض بين السفاردي والإشكناز، وهو انقسام سيء إعلان الدولة. وقد لجأت السلطات البريطانية لطرق عملية غير عقائية لحلها، إذ سمحت بوجود خلاصتين: واحدة سفاردية، والأخرى
إشكالية، بكل ما يتعلق عليه ذلك من انقسام اجتماعي وعاصمة الرأي والانقسام بين العرق، والسلفاز والسفاز انقسام عميق ذو طابع ديني، ولكن هذا النوع طبقي وأثنائي وهو من العمق بحيث يتبدد من خلال تكوين الأحزاب الإسرائيلية ودنيتها وأعمال التصويت في الأنتخابات التي تجري في المستوطنات الصهيونية. ومع هجرة اليهود الشرقيين من العالم العربي والعالم الإسلامي وبلاد الشرق الأخرى، مثل الهند، واحدنان الشرقي على حساب العنصر الغربي، وأصبح الشرقيون أغلبية في المجتمع، الأمر الذي أضطر المؤسسة الحاكمة إلى إخفاء تعرية الهوية الذي يتأدى بين الإشكالية واليهودي، وكشفت المؤسسة عن إطلاق التصريحات العنصرية ضد اليهود السفاز ويهود البلاد الإسلامية. لكن الروية الكامنة التي توجد الدولة الصهيونية لا تنزل، ولا إشكالية، وهي تتجاوز القضاء على الأشكال الحضارية الشرقية التي أخذها اليهود الشرقيين معهم، ولا تزال النخبة الحاكمة في إسرائيل غريبة بوجه عام وإشكالية بالدرجة الأولى.

من الأمثلة الأخرى التي انفجرت فيها قضية الهوية من منظور ديني، قضية يهود الهند المعروفون باسم بني إسرائيل. فالخليجيين، السفازودي واليهودي، لم تعتزفا بهم كيهود، لأنهم يمارسون الزواج المختلط ولا يعرفون التلمود. وقد استمرت مشكلتهم قائمة إلى أن اضطرت المؤسسة الدينية إلى الرضوع لضغط المؤسسة السياسية. ولم تتعزف الخليجيين أيضاً بيهود الغلاشة، ولم تشجع هجرتهم طيلة الأعوام الثلاثين الماضية لعدة أسباب، من بينها أنهم هم أيضاً لا يعرفون التلمود، ولكن حينما طلبت إليهم الهجوم، رفضت أعداد كبيرة منهم ذلك. فاقتربت الخليجيين صيغة مخففة للتهويد تتضمن عملية تشغيل رمزية.

حيث قابل بعضهم ذلك سارع ممثل الخليجيين السفازودي بتبخينهم قبل أن يقوم ممثل الخليجيين الإشكالية بهذه العملية. ولكن حينما حضر الأخير قام هو الآخر بالمثبط نفسها، أي أنهم تم تهجيههم وتبخينهم مرتين خلال عدة أيام. وتشارك قضية اليهود الغلاشة واليهود السفازوديين من آونة إلى أخرى، خصوصاً حينما يتم زواج مختلط بين أحد أعضاء إحدى الجماعات ورفد ينتمي إلى اليهودية الخليجية. ولم تضطر الدولة الصهيونية ولا المؤسسة الدينية إلى الدخول في صراع عميق مع أي من هذه الجماعات بسبب صغر أحجامها وقلة نفوذها داخل وخارج إسرائيل. ولم تأخذ المؤسسة السياسية موقفها جاسوساً في هذه القضية، بل تركت الأمر للمؤسسة الدينية تصرفه بطريقتها.
ومع منتصف الخمسينيات، ظهرت النزاعات بين الدينين واللادينين، وكذلك بين الأرثوذكس من ناحية وبقية الفرق الدينية من ناحية أخرى، وذلك حينما بدأت المؤسسة الأرثوذكسية في الخارج تضغط على المؤسسة الدينية في إسرائيل حتى تبنى موقفها أكثر تشددًا في مسألة تعريف اليهودي. وقد تزامن ذلك مع موجة من الهجرة من شرق أوروبا ضمت عددًا كبيرًا من الزيجات المختلفة. وفي عام 1957، قرر رئيس قسم تسجيل الهوية في وزارة الداخلية (وهو عضو في الحزب الديني القومي) أنه يقبل وصف المهاجر لنفسه بأنه يهودي باعتباره المقياس الوحيد معتبراً أنه معيار علماني ذاتي، وأصدر أمرًا إداريًا للموظفين في إدارته بذلك. وردًا على ذلك، أصدر وزير الداخلية (وكان علمانياً) من حزب اتحاد العمالة (أتحاد هاشفود) قرارًا في مارس 1958 يؤكد فيه الأحكام الخاصة التي تقبل المحاكمات الدينية. فأصبح الحزب الديني القومي من الأعراف المحاكم الاحتفالية. فقام بن جورون بالكتابة إلى خمسمين شخصية يهودية (دينية وفكرية) في أنحاء العالم يطلب منهم إنشاء fichier في هذا الأمر، وكان يشار إليهم بعد ذلك بوصفهم «حكام إسرائيل»! واجب الاجتهادات المشتركة على سائر النزاعات المتوقعة والتي لم يحسمها الفكر الصهيوني قبل قيام الدولة.
فقد عرف القسم الأول منهم (17) الهوية اليهودية على أساس الشريعة، ولكن نوعًا منهم تبني معيار الاختيار الشخصي (اليهودي هو من يعتبر نفسه كذلك)، وتبني نوع آخر معيار القسم الخارجي، أي أن اليهودي هو من يعتبره الأغلب كذلك. ومع هذا، صدر عام 1959 توجيه إداري ينص على تعريف اليهودي بأنه الشخص الذي ولد لأم يهودية، وذلك لأستهلاك الحزب الديني القومي حتى يعود إلى التحالب.
وقد ضمت الوزارة التالية وزيراً للداخلية من الحزب الديني القومي، فأصدر توجيهات إدارية عام 1960 يُعرّف فيها اليهودي بأنه من يثبت أن أمه يهودية أو أنه تُنظّم حسب الشريعة وعلى يد حاخام أرثوذكسي. وقد وعد الحزب الديني بإصلاح سياسة المواصفة عليه، ولكن الراي العام الإسرائيلي أفسحت هذه المحاولة.
ثم توفرت القضية مرة أخرى بهجرة الأخ دانيال (أوزوالد روفايرين) الذي وُلد لأبوين يهوديين في بولندا، وانضم إلى المقاومة ضد النازية وانقطعت كثيرًا من اليهود. وبعد أن قضى عليه فرّ إلى دين راهب، عاش في مستشفى في زي راهبة حتى انتهت.
الحرب، فاعتنقت المسيحية ودخل سلك الرهبنة، وهاجر إلى إسرائيل بموجب الاتفاقية، وطلب اعتباره يهودياً مقترضي قانون العودة، وقد عُرضت عليه الجنسية الإسرائيلية على أساس الجنس، ولكنه رفض وأصر على أن يحصل على الجنسية بموجب قانون العودة، أي باعتباره يهودياً. وقد ذكر في طلب أن الشريعة اليهودية تتقرر أن اليهودي لا يسلخ بتاتاً عن دينيه اليهودي، كما بلغته ذويه وذلك بحسب ما جاء في كتاب السندردين في النصرة. وقد ذكر الآخ دانيال أنه إذا كان بوعض الملحد أن يظل يهودي القومية، فمن باب أولي أن يعتبر هو (المسيحي) يهودياً! وقد رفضت المحكمة العليا طلبه عام 1966، وقالت في حكمها إنه وفقًا للعرض المقدم له فإن كل من يغير دينه بدون آخر يعد غير يهودي لأنه اختيار أن يفصل عن مصير الشعب اليهودي وتاريخه (ولاحظ أن فكرة المصير هذه مستفيدة بالتدريب أركيزتي التعرض اللاديني الأساسي). وقد بُنيت المحكمة أن حكمها هذا مناف للشريعة اليهودية واكتر تشددًا منها، وأن الأخ دانيال قد يكون يهودياً بحسب الشريعة، ولكن لا يمكن اعتباره يهوديا من منظور قانون العودة، أي أن المحكمة أخذت بتعريف لا ديني لليهودي، وجعلت أساس اليهودية الانتماء القومي.

ومن المفارقات، أن المؤسسة الدينية الأرثوذكسية كانت تقف ضد طلب الأخ دانيال، أي أنها أخذت موقعًا أكثر تشديدًا من الشريعة ذاتها بل وتفانيًا لها، وقد قيل في معرض نقده هذا الحكم إنه يتعلق بتعرض من هو غير اليهودي ولكنه لا يعبر اليهودي من قريب أو بعيد. ولم تترك القضية أثراً عميقًا في الدولة الصهيونية لأنها لم تؤثر على علاقاتها بيهود العالم. بل وشعر كثير من الإسرائيليين بأنها لا تخضع.

وأثارت القضية مرة أخرى وتحدة عام 1968 حينما طلب الضابط بنيامين شاليط (المتزوج من إنجليزية غير يهودية رفضت التهويد بسبب لا أدينتها) تسجيل أولاده باعتبارهم إسرائيلي الجنسية يهودي القومي، على أن يكتب في بند الدين عبارة لا يوجد، أي أنه طلب الأخ بال التعريف الإثني دون الديني، وحينما رفض طلبها، رفع قضية في المحكمة العليا التي حكمت لصالحه عام 1970، وذكرت المحكمة في حكمها أن مصطلح قومية خاص للتفسير العلماني، فأولاد شاليط ارتبطوا بعصر الشعب اليهودي وتاريخه. ومع هذا،
أكدت المحكمة أن حكمها ينصب على الوضع المدني، أي على قانون العودة والقوانين المواطنة والإجراءات الخاصة بالتسجيل، ولا ينصرف إلى الأحوال الشخصية (مثل الزواج والطلاق) التي تختص بها المحاكم المدنية. وقد رفض اليهود الأرثوذكس الأخذ بهذا الحكم، لأنه في تصورهم سيقّم اليهود إلى قسمين: يهود مؤمنون ويهود غير مؤمنين. ولذا، صدر عام 1967 تعديل لقانون العودة، وعرف اليهودي بأنه من ولد لا يهودي بشرط لا يكون عرفاً عديماً. ونص أيضاً على أن اليهودي هو المهود، وهو تعريف يعتمد الجانبين الإثني والديني، ولا يزال هذا التعريف هو المعتمد.

مع هذا، أثار التعريف غضب الدينين واللادينين. كما أن جورج طامارين، المحاضر في جامعة تل أبيب، أثار جانب آخر غير متوقع للقضية. فقد رأى أن التعريف الأخير تعريف يوغوطي، أي يستند إلى أساس ديني. ولذا، طالب بأن يُسجل في بد القومية لفظ «إسرائيلي» بدلاً من «يهودي». وقد رفض طلبه بطيبية الحال، لأن ذلك يعني رفض الصهيونية من أساسها.

أما الأرثوذكس، فلم يعجبهم التعريف الجديد إذ أنه يعترف ضمناً باليهود المهودين على يد حاخامات إصلاحيين ومحافظين، وهم في نظر الأرثوذكس ليسو يهوداً، أو على الأقل مشكوك في يهوديتهم، ولذلك فهم يطالبون بإضافة عبارة «يهود حسب الشريعة» (العبارة: كاهالاخاء) أي على يد حاخام أرثوذكي. وتحولت القضية، من ثم، إلى من هو الحاخام؟ وقد قدَّم إلى الكنيست مشروع قرار بهذا المعنى، رفض في 16 يناير 1985، وتسبب المعراخ أساساً في إسقاطه. والملاحظ أن هذا التعريف الأخير المُقترح سيثير من المشاكل أكثر مما يجلب، فهو على سبيل المثال سيفز أحد الأسس التي يسنده إليها التجمع الصهيوني، وهي فكرة «الوضع الراهن». والعبارة تشير إلى الوضع السائد في فلسطين إبان حكم الانتداب. وقد توصّل الصهاينة الدينين والصهاينة اللادينين، عشبة إنشاء الدولة، إلى اتفاق على أن الدولة الصهيونية ستثبّر بالشعائر والأعراف السائدة في ذلك الوقت في البلاد الدينية، ولا يزال الاتفاق يحكم مدى التزام الدولة بتنفيذ الشعائر الدينية.

وقد أثيرت عام 1987 قضية شوشا، ميرل المواطنة الأمريكية التي اعتنقت اليهودية على يد حاخام إصلاح، ثم هاجرت عام 1985 إلى إسرائيل، حيث
رفضت وزارة الداخلية الإسرائيلية منحها الجنسية لـ4 فلسطيني، فرفضت طلبه وتقدمت بشكوى إلى القضاء. وحلست المستعمرة، اقترح الوزير أن يُكتب إلى بطاقة تحفيز الشخصية الخاصة بالمهاجرين لفظة "مهاجر" بدلاً من "يهودي"، سواء أكان اليهود قد تم على يد حاخام إصلاحي أم على يد حاخام محافظ أو يهودي، فرفضت المواطنين ذلك أيضاً. فاعتبر أن هذا سيحولها إلى يهودية من الدرجة الثانية.

وقد حكمت المحكمة لصالح الشاكية، فاستقال وزير الداخلية وأتتهم اليهود الإسرائيليين بأنهم يقودون أمة إسرائيل إلى المتهلاكية. ولكن الوزارة اضطرت في نهاية الأمر إلى تسجيل بعض من هؤلاء على يد حاخامات غير يهودي.

ومرّت الحالات التي قام فيها المحاكم الخاضمة بالتشكيك في يهودية بعض ضحايا الإبادة النازية الذين استقرّوا في إسرائيل، بل وهناك حالة قامت فيها السلطات الدينية بالرجوع إلى الأرشيف النازي للتأكد من هوية أحد اليهود.

وكان مشاكل الهوية لا تتوقف، فقد طرحت القضية من جديد وبدون جدوى في فبراير 1988، حين حضر يهوديان اسمهما جيري وشيرلي بيرسفورد، ينتميان إلى جماعة دينية مسيحية تبشرية اسمها رامات هاشارون، ويشبه وضعهما وضع الأخ دانيال من بعض الروح، ويخططان عليه من البعض الآخر. فهما يهوديان بالمعنى الإبنائي وهم يؤمنان بالسماح، تماماً مثل الأخ دانيال، ولكنهم يختلفان عنه في أنهما لا ينتميان، أي لا يعترفان بالأدابة المسيحية. ولا يبين المصدر ما معنى هذه العبارة، وإن كان من الواضح أنها تعني أنهما أتمنا أن يكون مسيحيًّا أو المشيخ المفترض دون الإيمان بهم.

وقد طرّح حل صهيوني للكمالة باعتبار أن قانون العودة قانون سياسي صهيوني أثر به نسيان قانون ديني من يشأ، ويعمل لكل فريق أن يفسره بالطريقة التي يراها، على أن تختفي السلطة الأرثوذكسية بسلطة كاملة في أمور الأحوال الشخصية وفي عمليات اليهود التي تتلم داخ إسرائيل. وتحاول بعض الأحزاب الدينية تبني موقف مماثل، لكنهم بدلًا من المطالبة بتغيير قانون العودة يطالبون بتغيير قانون المحاكم الخاضمة بحيث يصبح من صلاحيتها أن تقرر من هو اليهودي ونحو غيره اليهودي، بدلاً من وزارة الداخلية. وفي هذه الحالة،
سيمكنها أن تسقط صفة اليهودية عن الخصوم الهيرونيميين والمحافظين. ولكن جماعة حياد الأرثوذكسية ترفض مثل هذا الحل.

وهي تصور أن أزمة الهوية اليهودية ستتعمق ولن تتحسن في المستقبل القريب لأسباب عديدة تتمثل في التطورات داخل المستوطنة الصهيونية خارجها. أما داخل المستوطن الصهيوني، فقد لوحظ على عكس ما توقعت المفكرون الصهاينة، أن التطورات والآليات الاجتماعية لم تؤد إلى صهر العناصر اليهودية الدينية واللادينية والإشكالية والسفاردية وغيرها، وإنما أزدادت صورة استقطاباً وتطرفًا. وإذا ما ركزنا على الجانب الديني مقابل العلماني، تلاحظ ظهور هوية يهودية جديدة بالإضافة إلى عدم التجانس، وهي هوية الصابرا من الأشكاليك التي يتسم أصحابها بسمات خاصة، كمعاناة العدل والفكر وحجب العنف والتخلل من القيم الأخلاقية، بل إنه ينكم احتقاراً عميقاً ليهود المنفى، أي يهود العالم كله (وقد كان المؤمل في الصابرا أن يكونوا الترجمة العملية للهويديي الحاصل). وإلى جانب ذلك، يلاحظ تزايد معدلات العلمنة في التجمع الصهيوني (الذي وصفه أمنون روبيشتين بأنه من أكثر المجتمعات إباحية على وجه الأرض). وبحسب بعض الإحصائيات، يبلغ عدد المواطنين الذين لا يؤمنون بالحقائق 80% من كل الإسرائيليين. ولهؤلاء ينظرون إلى الشعائر الدينية بأعتبارها فلكلوراً قومياً. وتعد الأعياد الدينية بالنسبة لهم أعياداً قومية، والعبرية ليست لغة الصلاة (السان المقدس) وإنما هي لغة البيع والشراء والجماع. وقد أصبح يوم السبت، وهو يوم راحة وتعبد من الناحية الدينية، يوم صدح ولهو في الدولة التي يفصلها لها "هويديات" ولا يراعي كثيرون من الإسرائيليين قوانيين الطعام الشرعي، ويقول إن نصف اللحم المستهلك في إسرائيل من لحم الخنزير.

لكن هذا، حينما عرضت قضية جيسي وشريلي بيرسفورد على الراي العام الإسرائيلي، قال 78% منهم إنه يجب منحهم الجنسية الإسرائيلية إن كانوا صهاينة، وعلى استعداد لأن يرتبطوا بالصحراء اليهودي. ومعنى هذا أن الإسرائيليين استخدمو معياراً قومياً لا دينياً صرفاً، ولو أنهم اتخذوا به سيطروا نوع جديد من اليهود الذين يؤمنون بالمسيح عيسى بن مريم، ولا يعترف الأئمة دانيال يهودياً برمج حكم المحكمة العليا...

 مقابل هذا التطرف في معدلات العلمنة، هناك تعاطى أيضاً في النزعة الدينية
يتضح في هجوم المؤسسة الدينية على الصور والظاهر الإباحية في إسرائيل، وإصرارها على إقامة شعائر السبت، وفي إصرارها على تعديل قانون العودة، وينعكس هذا الاستقطاب القومي في واقعة حرق اللادينيين معبداً يهودياً احتجاجاً على نشاط المدنيين. ويتضح الاستقطاب أيضاً في ظهر عاصمتين للجمع السفاري؛ إحداهما عثمانية تماماً في تل أبيب، والأخرى في القدس تزداد فيها نفوذ اللادينيين. وفي مثل هذا الصراع، يصبح الإجماع القومي، أو حتى الهدنة الاجتماعية القومية بشأن تعريف الهوية اليهودية أمرًا مستبعدًا. وما يعمق المشكلة آن ثمة استقطابًا مماثلًا يحدث بين يهود العالم الذين تزداد بينهم معدلات العلمنة والزواج المختلط.

وأضاف أن مشكلة السفارة قد ازدادت تفافاً، خصوصاً مع ازدياد عددهم وازدياد تفافهم بعضهم، فالجمع السفاري يتعافى بهدوء وحسب ماداموا في بلادهم، وهنا جزء من حبهم الإلهام، ولكنهم يوصون بهدوء شرقيين توزع وصولهم إلى إسرائيل، إذ أن التجمع السفاري يحتاج إبقائهم باعتبارهم مادة بشريقة قادرة على حل أزمة المصادر البشرية التي يعاني منها، وعلى العمل في قاعدة الهم الاقتراض الإنتاجية. لكن إصرار السفارة على التعاون الاجتماعي باعتبارهم يهوداً بشكل عام، سيجعلهم يشعرون أنهم ليسوا جزءاً من الهور، ويتركون قاعدته خارجية يشغله العرب، وهذا تشتت مشكلة الهمية مع واحدة من أعمق مشكلات التجمع السفاري، وهي مشكلة الإنتاجية، خصوصاً وأن الصهاينة يدعون أن اليهودي الجديد شخصية منتجة على خلاف يهود المنفى الهامشيين المرابين.

وقضية الهوية اليهودية قضية محورية. فالدولة السفاري تكمن شرعيتها، أمام نفسها وأمام الأسوار؛ من ادعاءها أنها دولة يهودية، لكن استمرار تفجُر هذه القضية يقوض دعائم هذه الشرعية. كما أن تعديل قانون العودة سيؤدي إلى استبعاد ما يقرب من 80% من يهود العالم (وربما أكثر) من يُعرَفون اليهودي على أساس ديني ذاتية أو على أساس إصلاحية ومحافظة ولا يقبلون الهوية الأمريكية.

ومن القضايا الأخرى المرتبطة بقضية «من هو اليهودي؟» قضية «من هو السفاري؟»، وهل هو اليهودي الذي يهاجر إلى إسرائيل، أي من يمارس
الصهيونية الاستيطانية أم اليهودي الذي يدعم المستوطن الصهيوني دون أن يهاجر
ويكتفي بالصهيونية التوطينية ؟ وهى قضية تمس الهوية ولكنها لا تصل في عمقيها
إلى قضية «من هو اليهودي ؟».

وكل هذه العناصر والتورط والتناقضات تجعل من العسير على اليهود أنفسهم
تصديق مقولة الشعب اليهودي الذي يتجاوز الأزمة والأمكاني والذي يحمل
داخله جوهرًا يهودياً. فقد أثبت الواقع العملي أنه لا يوجد جوهر واحد، بل هي
سمات عديدة متنوعة بتنوع التشكيلات الحضارية والتاريخية التي تتواجد فيها
اليهود. وقد أثارت القضية مرة أخرى مع وصول المهاجرين اليهود السوفيت.
وكما بيئة المؤسسة الدينية، فإن معظمهم ليسوا يهوداً، فهم إما من أصل
مسيحي تروجوا من يهود أو هم من مدعى اليهودية. بل واتضح أن اليهودية
بالنسبة لليهودي منهم لا تمثل سوى أصداء خفيفة للغاية. ومع هذا، رحبت
المؤسسة الصهيونية بوصولهم، فهي في حاجة ماسة للمادة الاستيطانية.
والحاجة نفسها التي تفسر الترحيب بالглаشائ موراه (وهم أشخاص يهود تتصورا
بكملاً إرادتهم منذ قرنين من الزمن). وكل هذه المؤشرات تدل على أن المؤسسة
الصهيونية، نظراً للحاجتها للمادة البشرية الاستيطانية، قد تجعل من اليهودية قشرة
رفيعة للغاية (مثل الانتقاء المسيحي في جنوب أفريقية) إذا أن المطلوب هو مادة
استيطانية غير عربية يضمن الكيان الصهيوني لنفسه الاستمرار من خلالها.
باشرةً أعضاء الجماعات اليهودية

للتحرير الصهيوني

الصهيونية (في صيغتها اللادينية) نفسها كحركة للتبرع اليهود، وطرحت مفهوم "اليهودي الخالص" صاحب الهوية اليهودية الحقيقية ليحل محل "يهودي المنفى" الذي يخفى هويته ويتقمص هوية الآخرين، والدولة الصهيونية التي يُقال لها "يهودية" ستكون هي السرير الذي تتحقق عليه هذه الهوية. وقد قبل بعض الصهاينة الدينية المشروع الصهيوني وتعاونوا مع اللادينيين على أمل أن تتاح لهم الفرصة بعد ذلك أن يفرضوا رؤيتهم الدينية بحيث يصبح "اليهودي الحقيقي" هو اليهودي حسب التعريف الأرثوذكسي. وقد أدَّى هذا إلى توترات عميقة بين الدولة الصهيونية من جهة، والجماعات اليهودية في العالم، بكل ما تتنسب به من تنوع وعدم تجانس، من جهة أخرى.

والصهيونية، كما بينا، ترى أن الهوية اليهودية خارج المُستوطَن الصهيوني، هوية ناقصة مريضة يجب إلغاؤها، وهذا ما يُسمى "نفي اليهودية" في المُستطلص الصهيوني (أي تصفية الجماعات اليهودية أو استغلالها). وقد جُمع عن ذلك صراع حاد بين أعضاء الجماعات اليهودية والمُستوطن الصهيوني، إذ أن أعضاء الجماعات بُرون أن هويتهم، أو هوياتهم اليهودية، ليست مريضة وإنما هي جديدة بالحفاظ عليها وتنميتها، في حين تحاول المؤسسة الصهيونية أن تقلل من شأنها وِن تجعل منها وقودًا يغذي الدولة الصهيونية. ولذا، فهي تجعل من الهجرة إلى فلسطين المحتملة والاستيطان فيها، المعيار الوحيد لتقييم مدى صهيونية اليهودي ومدى يهوديته. وهذه المشكلة تنفجر دائماً داخل المؤتمرات الصهيونية وخارجها.

1 - وانطلاقاً من المفهوم الصهيوني للهوية اليهودية الحقيقية، تنصرف الدولة الصهيونية أحيانًا بطريقة لا تخدم صالح أعضاء الجماعات اليهودية وإنما تخدم
مصالحهم هي على حسابهم، وربما تكون حادثة بولارد نقطة مهمة في هذا الصراع، فهي تتمثل تصادما بين رؤيتين للجهة: وحدة صهيونية وأخرى أمريكية، يهودية. فذهاب الرؤية الصهيونية إلى أن الأمريكي اليهودي يهودي أولاً واخيراً، ولذا لا بد أن يخدم الدولة الصهيونية، في حين تذهب الرؤية الأمريكية اليهودية إلى أن الأمريكي اليهودي هو أمريكي في المقام الأول وله مصالح تختلف عن مصالح الدولة الصهيونية.

2- عندما ينظر يهود العالم، خصوصاً السينودن منهم، إلى الدولة التي يقال لها "يهودية"، يكتشفون أن هويتها وروابطها سكانها ليست يهودية على الإطلاق. فمعظم العلماء يعترفون بما علامة معايير بين الإسرائيليين، وهو الأمر الذي يصب في رأي اليهود للدولة الصهيونية الذين يهرون من مجتمعهم الاستهلاكي ويحضرون إلى إسرائيل فيفاكوا مجتمع إباحي مفتوح أكثر علمانيا من المجتمعات غير اليهودية التي تركزها وراءهم. والواقع أن المجتمع الإسرائيلي بدأ، منذ السبعينيات، يتوجه نحوها استهلاكا ناديا لا يضبطه أي ضابط اخلاقين أو حضاري أو عقائدي. وهذه التسهيلات ليست مقصرة على المدينين، فاليهود اللادينيين، أو المندمجون الذين لا يقيمون شعائرين دينهم، يحاولون التمتع بشيء من الهوية والتجربة الدينية عن طريق إسرائيل. فبما أنهم يتمتعون تماما بالاستهلاك والحضارة العلمانية في بلادهم، فإنهم يذهبون إلى إسرائيل ويبدعون لها الإعانات ليعيشوا تجربة دينية قومية (ولو بشكل مؤقت) وكان إسرائيل ديزني لن تعد يهودية، على حد قول أحد الحاخامات). ولكن العلمانية الصريحة للدولة اليهودية تمحور من هذه المواقع، وتلك الإشارة.

3- كم يسأل اليهود المدينون: ما معنى يمكن إطلاق تسمية الدولة الصهيونية على الدولة اليهودية وهي تستوفي كل خلافاتها مع الآخرين عن طريق العنف العسكري وليست محاكمتها بمعايير اخلاقية يهودية؟ كم أن الطرق التي يتم بها قمع الانتفاضة يصعب تسميتها "يهودية" مهما تتحلى الإنسان بالكرم والأخلاق.

4- يشكو اليهود المدنين من أن التعريف الصهيوني للهوية اليهودية قد صادر الرموز والمصطلحات الدينية، بحيث يتصور كثير من اليهود الآن أن اليهودية والصهيونية أمرا متراجعاً، وأن المرء يمكن أن يحقق هويته اليهودية عن طريق
النبرع للدولة الصهيونية وعن طريق شراء سندات إسرائيل. وكما قال الحاخام
الكسندر شندر : "يتصور بعض اليهود الآن أن إسرائيل هي معبدهم اليهودي ،
وآن رئيس وزرائها هو حاخامهم الأكبر ! ".

ولكن نقطة الاتصال الكبرى بين أعضاء الجماعات والدولة الصهيونية هي في
مجال تعريف هوية اليهودي والمعايير المستخدمة في هذا التعريف ، إذ تُعتبر المؤسسة
الدينية ، مُمثلة في أحزابها الدينية ، على تنفيذ تعريف أرثوذكسي . وقد حدثت
مواجهة سريعة بين يهود العالم والمؤسسة الدينية في حالة يهود الهند (بني
إسرائيل ) في الخمسينيات ، وفي حالة يهود الغلاشة في الثمانينيات ، ومع
القراريين والساحريين عبر كل هذه السنوات . وكان جوهر المواجهة دائماً هو إقرار
المؤسسة الدينية على التمسك بتعريف يهودي ، والذي يستبعد أعضاء هذه
الجماعات . وقد حسمت هذه المواجهات إما بتحوّل أعضاء هذه الجماعات مرة
أخرى حسب الشريعة ، وإما بتراجعهم وقبولهم مرتين ثانية في الهم الدينية
اليهودي . كما أن المؤسسة أبدت من جانبها شيئاً من المرونة تجاههم . ولكن كل
هذه المواجهات كانت مع جماعات صغيرة لانفصول لها انفصاولة من قرون طويلة
عن اليهودية الحاخامية ، ولذا لم تستسلم المواجهة في تفجير أزمة عامة ذات أثر
عميق . أما المواجهة مع يهود الولايات المتحدة وروسيا وأوكرانيا وغيرها من
الجماعات اليهودية بشأن الموضوع نفسه ، فهي مواجهة مهمة وعميقة لها أعمق
الثر في كل من الدولة الصهيونية وأعضاء الجماعات .

وبشكل عام ، يمكن القول بأن القيم العلمانية تنتشر في الوقت الراهن بين
أغلبية يهود العالم ، فهم إما محترمون عن الدين تماماً وآبائهم الصغير المعففة
منه والمتميزة في اليهودية الإصلاحية والمحافظة ، ولم يعد بهم سوى أقلية
ارثوذكسية . ففي الولايات المتحدة ، يبلغ عدد اليهود الإصلاحيين والمحافظين
مليوناً ولا يوجد سوى 400 ألف أرثوذكسي . أما بقية اليهود ، فهم إما
لا أدريون أو غير مكرترن باليهودية ، ولكنهم بلجائن إلى حاخامات إصلاحيين أو
محافظين في أمور الزواج وغيره . وربما تكون درجة علمية يهود روسيا وأوكرانيا
على من ذلك بكثير . ومع هذا ، وبرغم علمهم هؤلاء اليهود ، وبرغم ابتعاد
المتدينين منهم عن الأرثوذكسي ، فإنهم يتحمسون ببقايا هويتهم الإثينية ، ربما
بتأثير الصهيونية . ولذا ، فهم بصرون على تسمية أنفسهم "يهود" برغم

81
انстраиваهم عن العقيدة، ثم يطالبون بتبني تعريف تعددي لليهودية، أي أي تعريف يروق لهم بحيث يتم قبول أي يهودي يرى أنه يهودي. وهم ينظرون إلى الدولة الصهيونية باعتبارها دولة تعددي يهودية، والعليا الفعلي، يمكن تحقيق هويتهم من خلالها. وفي هذا الإطار، ليس من المستغرب أن يؤدي التعدد المقترح لقانون العودة (بحيث يعرَف اليهود بأنه „المتوضئ بحسب الشريعة“) أي على يد حاخام أرثوذكسي إلى تفجر المنافعات الكامنة إذا أنه، في الواقع، الأمر، يستطيع أغلبية اليهود وعائلاتهم في الولايات المتحدة. ومن المعرف أن عشرة آلاف أمريكي يهودون سنويًا نظرًا لزواجهم من أفراد يهود، ولا يهودون سوى ألف منهم أمام محاكم أرثوذكسي، أما الباقون فيتهمون على يد حاخامين إصلاحيين ومحافظين، ولا تعرف الحاخامات في إسرائيل ببعضهم كيود.

وهناك مشكلة أخرى أثيرت عدة مرات ولكن يحسمها التعريف الجديد حتى لو تم تبنيه. فالحاخامات الأرثوذكسي يطلبون ما يُسمى "جنيب" من كل يهودية مطلقة، أي شهادة طلاق من محكمة شرعية يهودية ليصبح الطلاق شرعياً، وهو تقليد أبطال الحاخامات الإصلاحيين. ولذا، فإن أي يهودية مطلقة تنزوج دون أن تصل على شهادة طلاق شرعي، يعتبر أطفالها (بحسب التصور الأرثوذكي) غير شريعيين، حتى لو كانت هي يهودية معتزرة بيهوديتها من المؤسسة الأرثوذكسية. وللهذا، فمن المتوقع أن تتتفاقم المشكلة بسبب ازدياد معدلات الطلاق غير الشرعي بين اليهود في الخارج، سواء في الولايات المتحدة أو في كومونولت الدول المستقلة (الاتحاد السوفيتي سابقًا)؛ ويساعد جهل كثير منهم بقضية الجيب هذه.

ويدرك أعضاء الجمعيات اليهودية، خصوصاً في الولايات المتحدة، المضمون الخفي الكامل وراء تعديل قانون العودة تماماً، ومؤامرة الرامية إلى ذلك. ومن هنا كانت حاجة استجابة لهذه المحاولة إلى درجة أهدشت القيادات في اجتماع مجلس الفيدراليات الأمريكية الذي خُصص لمناقشة هذه القضية (1988)، ومجلس الفيدراليات هو التنظيم الذي يضم سائر التنظيمات اليهودية الأمريكية. فإذا حاولت القيادة التقليل من أهمية التعديل المقترح والتهويين من شأنه، ثارت القاعدة وأعلنت سخطها وأعلنت كذلك عن نيتهها أن تترجح هذا السخط إلى فعل ضد إسرائيل. بل إن بعضهم اشتكى إلى نوابهم في الكونغرس الأمريكي من
التعديل المزمع، وقام هؤلاء النواب، وبعضهم من غير اليهود، بنقل شكوى
ناخبيهم من اليهود إلى حكومة الدولة اليهودية. وتحدث الصحف الإسرائيلية
عن احتمال أن تتناول المسألة في الكونجرس الأمريكي عند مناقشة المعونة
الأمريكية لإسرائيل. وهكذا، فبألاً من أن تستعمل الدولة الصهيونية الديسبرورا
اً للضغط على الولايات المتحدة لتحقيق مصالحها، يقوم أعضاء الجماعات
الأمريكية اليهودية بالضغط على الدولة الصهيونية من خلال الولايات المتحدة
للمحافظة على مصالحهم. ويقال إن استجابة يهود الولايات المتحدة لتعديل قانون
العودة يشبه في حدته استجابةهم لحرب 1947، حين أحسوا بالخطر الشديد
لاستقرار القوات الإسرائيلية، أي حين تضخمت هويتهم اليهودية المزعومة بسبب
استقرار جيوش الدولة اليهودية. وقانون العودة يمس هذه الهيئة، ذلك أن تعديله
ينزع منهم هويتهم هذه ويجعل منهم مجرد يهود إصلاحيين أو محافظين، أي
يهود من الدرجة الثانية. ويجب ملاحظة أنه بينما أصبحت اليهودية، بالنسبة
إلى معظم سكان المستوطن الصهيوني مسألة قومية ليست دينية محضة (ولهذا
فهم لا يكترون بموقف المؤسسة الارتدادية)، فإن الأمر جد مختلف بالنسبة
إلى يهود العالم، فيهوديتهم رغم علمناهم الواضح لا يمكن أن تُعرف تعريفًا
قوميًا وحسب، حيث يتناول هذا مع انتظامهم القومي. ولذلك، يظل البعد
الديني، رغم شكلته وضموري، أكثر أهمية بالنسبة إليهم من أهميته بالنسبة إلى
الإسرائيليين.

ومن إيجازات الانتفاضة أنها، بوصولها إلى الإعلام الخارجي، قد حُورّثت النضال
الفلسطيني من قضية سياسية أو أخلاقية إلى قضية إعلامية تم صورة اليهودي
وبالتالي هويته ورؤيتها لها. ولعل الأفلام اليومية على شاشات التلفزيون الأمريكي
قد ساعدت على تهيئة الجو لثورة الأمريكيين اليهود، وغيرهم من أعضاء
الجماعات، على القيادات الصهيونية ورفضهم تعديل قانون العودة.

وتم تطور ثلاثة أشكال إقلامية يتمثل في البقعة التي يلتقي فيها يهود العالم
بالمستوطن الصهيوني، أو المنظمة الصهيونية العالمية. فقد شهد العقدان
السابقان صهيونية قطاعات كبيرة من يهود الولايات المتحدة كانت ترفض الصهيونية
من قبل، فاليهودية الإصلاحية التي تشجع الاندماج، كانت ترفض الصهيونية
بشكل عقائدي عند نشأتها، كما كان بعض مفكري اليهودية المحافظة يرفضونها.

83
ولكنهم، بمجرد الزمن، تناسوا هذه الاعتراضاً وانتهى بهم الأمر إلى الانضمام إلى
المنظمة الصهيونية العالمية. هذا، بينما يُلاحظ أن الجماعات اليهودية الدينية،
وتنتمون ذلك بعض الأحزاب الدينية في إسرائيل، إما معايدة للصحىونية إما غُرِب
صحىونية وغير مُمثلة في المنظمة الصهيونية.

وقد انعكس هذا الوضع على انتخابات المؤثر الصهيوني الحادي والثلاثين
(1987) التي أسفرت عن فوز أغلبية من حزب العمال الإسرائيلي وتمثيل اليهود
الإصلاحيين والمحافظين والعلمانيين. وهذه هي المرة الأولى التي لا يعكس فيها
تكوين المنظمة الصهيونية موازين القوى داخل الدولة الصهيونية. وقد قضى
المؤتمر (291 صوتاً ضد 271 صوتاً) بضرورة المساواة الكاملة بين جميع أطيافات
اليهودية، الأمر الذي دُعي بحركة المزاحمة (الصهيونية الدينية) إلى التهديد
بإعادة النظر في وضعها داخل الحركة الصهيونية. ووافق أن هذا الوضع ينافض
الوضع داخل الدولة الصهيونية حيث يتناول نفوذ الأحزاب الدينية.

وقد أثار وصول المهاجرين السوفييت مشكلة الهوية مرة أخرى. فعدد اليهود
السوفييت حسب آخر إحصاء هو 600,000. وحسب ، فإن أين آتت الاعداد
الضخمة، خصوصاً ونحن نعرف أن اليهود السوفييت حققوا معدلات عالية من
الاندماج وأتتهم جماعة مسلمة؟ وتفسير هذا نذهب إلى أن اليهود الذين يهاجرون
إلى إسرائيل يضمنون في صفوفهم عددًا كبيرًا من اليهود المتعلمين الذين كانوا قد
فقدوا علاقاتهم باليهودية تمامًا ولم يسجلوا أنفسهم كيهود، ولكنهم اكتشفوا
مؤخرًا أن مسألة الانتماء اليهودي مشكلة مرتبطة إنسانية وعُذِرًا ضمت لهما تأشيرة خروج
من الدولة السوفيتية وتأشيرتهما داخل الدولة الصهيونية. وعلل هذه هي المرة
الأولى التي يظهر فيها مثل هذا الوضع: أن يكون في صالح المراة أن
يكتشف جذوره اليهودية ويعملها ويوظفها. وأشياء اليهود هؤلاء غير محدودين
وغير متزوجين من يهوديات وأولادهم غير يهود ولا يربطهم باليهودية سوى أن لهم
جدًا مدفعون في موسكو (على حد قول أحد الخناصين الإسرائيليين). كما أن
هناك فريقًا آخر من نسيمةتهم مُدْعُو يهودية، وهؤلاء ليسوا يهودًا ويشترون
شهادة ميلاد تثبت أنهم يهود. وهذه الآلاف تصل إلى إسرائيل وتطلب بالقانون
حسب قانون العودة. ويتلاقى إن نسبتهم بين المهاجرين يمكن أن تصل إلى 30%.

وقد بدأت المؤسسة الخانامية تحذر من أن إسرائيل قد تصبح دولة غير يهودية.
ولكن المؤسسة الإشكالية الحاكمة (اللاديني) لا تجد أيّة غضابة في استقبال هؤلاء المهاجرين، فمادماً سيحلون المشكلة السكانية لأسرائيل، ولا تمنع في تقبل التعريف العلماني الذي وضعه شارانسكي الليهودي باعتباره من يشعر أنه يهودي مُضطهد. وهو تعريف لا تأخذه بسهولة الحال، المؤسسة الحاكمة. ولذا أسست محكمة شرعية في موسكو للتحقيق من الهوية اليهودية للمهاجرين، الأمر الذي يثير حفيظتهم ويؤدي إلى احتجاج العناصر اللادينية في إسرائيل.

وتُعتبر الأزمة التي تعتمد داخل الدولة الصهيونية في صفوف الجماعات اليهودية في العالم، نتيجة لمحاولة تبني التعريف الفلسفي أو التعريف اللاديني الصهيوني للهوية، أمراً طبيعياً ومتوقعاً. فهذا التعريف لا يأخذ في الاعتبار توجهات التاريخ وتعجيزاته ولا ينبع منها، ويجاهل التركيب الجيولوجي للمفاعد والجماعات اليهودية، كما أنه مجرد تعريف عقائدي يفرض نفسه في عمق واقع متنوع. فهو يفترض وجود هوية يهودية واحدة رغم وجود هويات يهودية عديدة.

متنوعة أهمها "الهوية اليهودية الجديدة" التي تهمّش العنصر اليهودي والتعريف الصهيوني يرى أن اليهود شعب واحد له تاريخ واحد، وهم في واقع الأمر جماعات متفرقة لها تجارب تاريخية متنوعة ذات امتدادات فردية وإثنية وطبقية ودينية متعددة. كما أن أعضاء هذه الجماعات، حين يستطيعون فلسطين السنة، يحملون معهم امتداداتهم وتجاربهم التاريخية، شاءوا أم أبوا. وحينما يتبينون تعريفاً صهيونياً لهويتهم، تتفرع الأزمة إذ تكتشف أغلبهم العظمى أنهم ليسوا يهوداً أو أن يهودتهم مشكوك فيها بل مرفوضة، كما حدث ليهود بني إسرائيل وال فلاشائل، وكما سيحدث ليهود الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي لم يتم تعديل قانون العودة.
الاختلاف بين الفكر الديني الإصلاحي والمحافظ، والمفكر الأرثوذكسي

وقد نجد أن هناك فرقًا بين بعض التطورات الأخيرة في الفكر الإسلامي، وندرج أولًا بعض الفرق الأساسية بين "المذاهب المختلفة (الإصلاحية والمحافظة والأرثوذكسية)". وكلمة "مذهب"، حينما تُطبق على اليهودية، وعلى تقاليدها المختلفة، قد يكون أبنا خاطئًا إلى حد ما. فعلى سبيل المثال، وصف الخاخام الأرثوذكسي الإسرائيلي تسيغي هليبرشتاين اليهود "الإصلاحيين بأنهم كفرة [لم يستخدم الخاخام نفسه كلمة "يهودي" أصلاً] منSegments: من أخرجوا أنفسهم عن الدين اليهودي، وأصبحوا خارج السياق المحيط بشعب إسرائيل، وليس لهم أي حصة في أرض إسرائيل". إذ فرض قائلًا: "إنهم طابور خامس، خطرخلعنا أكبر من خطر التنزل عن أرض إسرائيل للعرب". وأي أن هذا الخاخام الأرثوذكسي يرى أن اليهود الإصلاحين (والمحافظين بطبيعة الحال) أكثر خطرا عليًا من العرب (إذا أعداء اليهود، والجيل بامتنع، حسب الرواية الصهيونية)؛ كما يقول الخاخام إنه يفضل أن يعطي الأرض للعرب، على أن يساوح عليها في علاقته باليهودي الإصلاحي (والمحافظ). وقد صرح خاخام آخر (أرثوذكسي /أمريكي) بأن اليهودية، في الواقع، قد انقسمت إلى يهوديتين: اليهودية الإصلاحية والمحافظة من جهة، واليهودية الأرثوذكسية من جهة أخرى. فنحن هنا لا نتحدث عن "مذهب"، بل عن مصطلح للكلمة، وإذا نتحدث عن انقسامات عميقة، أكثر عمقاً مما هو معروف في أصحاب الدين الواحد. ويمكننا الآن أن نتناول كل مذهب على حدة."
1 - اليهودية الإصلاحية

تشترك كل من الحركة اليهودية الإصلاحية واليهودية المحافظة في أنهما تأولان حل إشكالية الحلف الإلهي في الشعب اليهودي وفي مؤسساته القومية. فمثل هذا الحلول يجعل منهم شعبًا مقدساً ملتفًا حول نفسه، يشير إلى ذاته دون الإشارة إلى شيء خارجه، وهذا أمر مقبول داخل إطار المجتمع التقليدي، المبني على الإرادة الذاتية للأقليات. وهو أمر مفهوم حينما كان اليهود يضطهدون بدور الجماعة الوطنية التي تعزل نفسها عن المجتمع لتعلع دورها المحيط. ولكن مع ظهور الدولة القومية التي ترى نفسها مطلقة فهي مرجعية ذاتها لا تقبل مرجعية متجاوزة لها، أصبح من الصعب أن يتعايش ناقطان مطلقتان داخل المجتمع الواحد.

ولذا، كان على أعضاء الجماعات اليهودية أن يتعاملوا بشكل أو بآخر مع الحلفولية اليهودية التقليدية، وكان عليهم التوصل إلى صيغة حديثة لليهودية يمكنها التعايش مع الدولة القومية الحديثة المطلقة بضرورة على أن يعيد اليهودي صياغته ذاته ورؤيته حتى يبدن لها وحدها بالوراء. وقد حاولت اليهودية الإصلاحية واليهودية المحافظة حل إشكالية الشعب المقدس عن طريق تبني الحاصل العربي للمشكلة وهو أن يكون الحلف الإلهي في نقطة ما في الطبيعة أو في الإنسان أو في التاريخ، بحيث يشكل المطلق ركيزة نهائية كامنة في هذه النقطة وغير متجاوزة لها. وقد ظهر العديد من هذه المطلقات الدينية أو الغمبيرات العلمانية. ولكن المشاكل هو المطلط الدينوي الذي يُسمى "الروح" (جايست) في أدبيات القرن التاسع عشر في أوروبا (روح المكان) أو "روح العصر" أو "روح الشعب" أو "روح الأمة" الذي حل محل الإله. وبينما آمن الإصلاحيون بروح العصر (بالألمانية: تسايت جايست)، آمن المحافظون بروح الشعب العضوي (فولك).

وهذه الصياغة من الحلفولات تلغي الإله كنقطة متجاوزة، فمصعد القداسة كامن في المادة. وبالنسبة لليهودية الإصلاحية، فهي توضع نطاق نقطة الحلف بحيث يصبح المطلق (روح العصر) إطارًا يضم كلًا من اليهود والغيريين. وبذلك تكون اليهودية الإصلاحية قد وصلت إلى صيغة معاصرة لليهودية تلائم العصر، وتتخلص من آثار الحلفولية الحادة والجماديه التي كانت تدور في فلكها اليهودية المحاصلية، والتي عزلت اليهود عن مجتمعهم وجعلت معتقداتهم الدينية عبأً.

88
ينموون بحمله، وجعلت تعايشهم مع المطلق الجديد (الدولة العلمانية الحديثة) مستحيلاً. ويمكن القول بأن جوهر مشروع اليهودية الإصلاحية هو محاولة نوع القداسة عن كثير من العقائدات الدينية اليهودية وضعها في إطار تاريخي، وذلك حتى يتمكن التمييز بين ما هو مطلق ومتحرر من الزمان والمكان وبين ما هو نسبي ومرتبط بهما. وهي عملية تحميتها تضمن نطاق المطلق والمقدَّس، وتوضيع نطاق النسبي، حيث يتمكن أعضاء الجماعات اليهودية المشاركة في الإمام بالمتطلقات المؤيدة والصناعية والمادية في مجتمعاتهم الحديثة. ولذا، عدَّل النصوص الأرثوذكسية بالإلهية بما يناسب العصر المختلفة. فشلت فرق بين الوعي والأخلاق، إذ أن الإله ليس خالصاً أو صافية، فالبشر يصبحون بعداً لهم ولهما اجتماع وانجاز تاريخية ذهبية. لكل هذا، يجب على اليهودي أن يحاول فهمه وتفسير هذا الوعي، أو الإلهام من آن إلى آن، وأن يُقَدَّم منهما ما هو ممكن في خصائصه التاريخية. وهذا، يصبح للفقهاء الإلهي (الشريعة) السلطة والحق، طالما كانت أوضاع الحياة التي جاء لمعلجتها مستمرة. وعندما تتغير الأوضاع، يجب أن يُسَنّ القانون، حتى وإن كان الإله صاحبه ومشرِّعه، أي أن الشريعة فقدت سلطتها الإلهية المطلقة وأصبحت روح العصر النقطة المرجعية والركزية النهائيّة، وللمعنى الرمزي، على سبيل المثال، جانبان: أحدثهما مقدَّس الآخر ذيبيزي وأسقنت فاعليته الجانب الثاني بهدف الهمك، وسقط مع هذه العملية كل ما له علاقة بالهيكيل أو الدولة، وفجى الجزر المقدَّس أو المطلق وحده. وبطبيعة الحال، لا يعرف اليهود الإصلاحيون بالشريعة الشفوية (التبصر المستمر عن الحلول الإلهية). وحاول الإصلاحيون كذلك تأكيد الجانب العقائدي والأخلاق على حساب الجانب الشعاعي أو القرآني، فهم بروان أن اليهودية الخاشعة تدور في إطار الشعائر المرتبطة بالدولة اليهودية والهيكيل، والتي لم تُعَد لها أي فاعلية أو شرعية. كما أنه استبعاد العناصر القومية الموجودة في الدين اليهودي والتي تؤكد قضاية اليهود وانعزازهم عن الآم الأخرى.

ومع هذا، فإن اليهودية الإصلاحية، في محاولتها تطور اليهودية، انتهت بها الأمر إلى أن خلعت النسبية على كل العقائد وزعت القداسة عن كل شيء، أي أنها في محاولتها إدخال عنصر النسبية الإنسانية والتهرب من الحلولية، سقطت.
في نسبية تاريخية كاملة بحيث استطعت كل شعائر وكل العقائد تقريباً، أي أنها هربت من وحدة الوجود الروحية إلى وحدة الوجود المادية.

وفي ضوء منطلقات الفكر اليهودي الإصلاحي، يمكننا أن ننظر إلى التفاسير الدينية، التي أدخلها زعماء الحركة الإصلاحية، على العبادة اليهودية وبعض المفاهيم الدينية، ومن أهمهم أبراهيم جاينجر (زعماء الجناح العلمي) الذي يشتر إليه عادة بواسطة التقدمي، وديفيد فرايد لوفر (زعماء الجناح القومي) الذي يُشار إليه أحياناً بصفة «الليبرالي». وقام الإصلاحيون بإلغاء الصلوات ذات الطابع القومي اليهودي، وجعلوا لغة الصلاة الألمانية لا العربية (ليمتشوا مع روح العصر والمكان)، ثم médecية في الولايات المتحدة، وأطلقوا على أكثر من الكهنة واللاهوتيين وبقية اليهود، وادخلوا الموسيقى والأنشطة الاجتماعية، كما سمحوا بأخذ الصينيين في الصلوات، وتمتعوا تغطية الرأس أثناء الصلاة أو استخدام المفاتيح، ولقد تأثروا في ذلك بالصلوات البروتستانتية، وقام بعض الإصلاحيين بناء بيت العبادة اطلقوا عليه اسم «الهيكل»، وكانت تلك أول مرة يُستخدم فيها هذا المصطلح لأنه لم يكن يُطلق إلا على الهيكل الوحيد في القدس. ومع ذلك أن الإصلاحيين بتسميتهم معهدهم هذه التسمية الجديدة، كانوا يحاولون تعزيز ولاء اليهودي إلى الوطن الذي يعيش فيه ويحاولون نقل الحمولة الإلهية من مكان سيطرهدون إليه في آخر الأيام إلى مكان يُرتدونه هذه الأيام. وعلى المستوى الفكري، أعاد الإصلاحيون تفسير اليهودية على أساس عقلي، وأعادوا دراسة العهد القديم على أساس علمية (العقل أو العلم هو موضع الحوار الإلهي أو المطلق في المفاهيم الربوبية)، وناذوا بأن الدين اليهودي أو العقيدة الموتوية (وهي التسمية الأثيرة لديهم) تستند إلى قيم إخلاقية تشبه قيم الأديان الأخرى. كما ركز الإصلاحيون على الجيوش الأخلاقية للدورة، وكذلك الجوهر الأخلاقي لبعض جوانب التلمود، مهمين التحريات المختلفة التي ينص عليها القانون اليهودي، وخصوصاً القوانين المتعلقة بالطعام والكهانة والخانات، وقد سمحوا (مؤخراً) بترسيم حاخامات إبراهيم. وانكرنا فكرة البعث والجنة والنار، وأحلوا محلها فكرة خلوذ الروح. وقد استطعوا معظم شعائر السبت، (ومع أنها تحظر استخدام السيارة بما في ذلك الوصول إلى المعبد) وعدم استعمال أية ألة كهربائية وغير كهربائية (بما في ذلك مكبرات الصوت)، وهم لا يحتفلون به في الوقت الحاضر في يوم السبت.
نفسه وإنما يختار أعضاء الأبرشية أي يوم في الأسبوع للاجتماع. وتأخذ الشعائر في هذه الحالة شكل صلاة قصيرة وقراءة بعض الفقرات من أي كتاب، بل حل بعض الكلمات المتقلعة. ولعل هذا هو الانتصار النهائي لروح العصر. ويقوم أحد المتحدثين بإلقاء محاضرة في أي موضوع ويشدون النشيد الوطني لإسرائيل (هاتيكفاه). وقد ازداد التكيف مع روح العصر تطرفاً، ولنجد أن اليهودية الإصلاحية قبضت الشؤاع جنسياً كيهود ثم رسمت بعض الشواع جنسياً حاخامات، وأسست للشواذ جنسياً معابد إصلاحية معتزراً بها من قبل المؤسسة الإصلاحية. ولعل هذا تعابير عن حلولية موت الإله أو حلولية بدون إله، وحلولية ما بعد الحدادة حيث تساوي كل الأمور وتصبح نسبية. ونحن هنا لا نتحدث عن يهود أو أغوار وإنما نتحدث عن مجتمع أخذ الإنسان فيه يختفي تدريجيًا بعد شحوب الإله وموته.

وقد عدل الإصلاحيون بعض الأفكار الأساسية في الدينية اليهودية، فمثلًا نادر جايسير بحذف جميع الإشارات إلى خصوصية الشعب اليهودي من كل طقوس الدين وعقيدته وأخلاقه وأديبه، مطالبًا بالتخلي عن الفكرولة الخاصة بالشعب اليهودي كليًا. وقد حاولوا الإبقاء على هذه الفكرولة، مع إعطائها دلالات الأخلاقية عالية جدًا، فجعلوا الشعب اليهودي شعبًا يحمل رسالتهم الأخلاقية لنسجها في العالم حتى يستطيع من بضья أن يؤمن بها. كما يؤكد الإصلاحيون أيضًا أن اليهود شُتِموا في أطراف الأرض ليحققوا رسالتهم بين البشر، وأن النفي وسيلة لتحقيقهم من الآخرين وليس لعزلهم عنهم.

وأضاف الإصلاحيون على فكرة العودة والماشيّ طاباً إنسانيًا إذ يرفض ممثلوهم في مؤتمر تسنجير، فكرة العودة الشخصية للمباشّ المختلط، وأحكمت فعلًا فكرة العصر المشيحياني، وهي فكرة تربط بين العقدية المشيحيانية وروح العصر. فالعصر المشيحياني هو العصر الذي سيحل فيه السلام والكمال وبطريقة خلاقه إلى كل الجنس البشري ويتغير العصر والإصلاح ويتم كل هذا من خلال التقدم العلمي والحضاري. فالفكرة المشيحيانية هنا صُفت تمامًا عن الشعب اليهودي وعن شخص الماشي واتبعت بكل البشر والعلم الحديث.

وكان من المنطقي أن تعادي اليهودية الإصلاحية (بسبة الأندماجية) الحركة الصهيونية (بسبة القومية المشيحيانية)، وفي تمجيه لها للجيشه والتلمود، وفي
حفظها على النطاق الضيق للحلولية اليهودية التقليدية). وقد وُقّع الإصلاحيون
عدها من المؤتمرات لتعزيزهم عن رفضهم للشيوعية. كما أنهم رفضوا وعد بلغور
وكل المحاولات السياسية التي تتعلق من فكرة الشعب اليهودي أو التي كانت
tخاطب اليهود كما لو كانوا عبادة بشرية متجانسة لباصلح مستقلة عن مصلحة
الوطن الذي ينتمون إليه.

وقد ظلت هذه البداوة قائمة زمنًا طويلاً في الولايات المتحدة. ولكن اليهود
في الغرب جزء لا يتجزأ من المصالح الاقتصادية والسياسية والحضارية لبلادهم،
ومن محطاتهم التاريخي والحضاري، وهذه البلاد في جميعها تشجع المشروع
الصهيوني. ولذا، لم يكن من الممكن أن تستمر الفكرة أو العقيدة الإصلاحية
في مقاومة الواقع الإمبريالي الغربي الممالي للشيوعية. وعلى كل، فإن اليهودية
الإصلاحية جعلت روح العصر النقطة المرجعية والركنة النهائية، والإمبريالية جزء
أساسي من روح العصر في الغرب. ولكل هذا، نجد أن اليهودية الإصلاحية
تختلط بالتدريج عن روائتها الليبرالية، وأخذت في تغيير رؤيتها بشكل يتواءم
مع الروحة الصهيونية. وبالفعل، بدأ الإصلاحيون في العودة إلى فكرة القومية
اليهودية الصهيونية، وإلى فكرة الأرض المقدسة، فجاء في قرار مؤتمر كولومبوس
عام 1937 أن فلسطين "أرض مقدسة بذكرياتنا وأمالنا" إلا أن مصدر قداساتها
ليس العهد بين الشعب والآلهة، وإنما الشعب اليهودي نفسه (وفي هذا اقترب كبير
من اليهودية المحافظة). وقد حاول الإصلاحيون تبشير هذا التحول بالعودة إلى
التراث اليهودي فغداً أن الآرياء كانوا يؤدون الأغاني القومي الدينية دون أن
يتخلوا عن الدفاع عن الاختلافات الإنسانية العالمية، ودون أن يجدوا أي تنافض
بين الطرفين، أي أن الإصلاحيين تقبلوا الموقفين: الأنتيالي والعالمي دون تساول،
وهم في هذا يقتربون من الصهيونية الثقافية، ومن صهيونية الجماعات اليهودية
(أي الصهيونية التوطينية) في استخدامها مقياسين مختلفين: أحدهما يجعل
اليهودية قومية بالنسبة للمستوطنين الصهاينة والإسرائيليين، والآخر يجعلها دينا
وتراثاً روحيًا بالنسبة للمسلمين الذين لا يريدون مغادرة المنفى بسبب سعادتهم
بالغة بها.

وقد تزايد النفوذ الصهيوني داخل معسكر اليهودية الإصلاحية إلى درجة أن
الاتحاد العالمي لليهودية التقليدية (أي الإصلاحية) عقد مؤتمره السنوي الخامس
92
عشر في مدينة القدس للمرة الأولى عام 1968، وذلك عقب عدوان 1967 وفي غمرة الحماس القومي الذي اكتسبه يهود العالم نتيجة للانتصار الإسرائيلي. وقد تراودت أيضًا العناصر القومية في الشعائر الإصلاحية (حيث تُعلَى الآن بعض الصلوات بالعبرية)، كما أن الإصلاحيين ينطلقون في البوح (شوفار) في العيد، في عيد رأس السنة. وأدخلوا بعض العناصر التراثية على الصلوات الأخرى.

وبدأت اليهودية الإصلاحية، ابتداءً من منتصف السبعينيات، تساهم بشكل واضح في الحركة الصهيونية، حيث أصبحت ممثلة فيها من خلال جمعية آراك (مجموعة الصهاينة الإصلاحيين في أمريكا). وقد انضم الاتحاد العالمي لليهودية التقدمية إلى المنظمة الصهيونية العالمية عام 1976، وأطلقه أرتسينو (الرابطة الدولية للصهاينة الإصلاحيين) باعتبارها حزباً صهيونياً إلى المنظمة. فاصبحت اليهودية الإصلاحية ككيوبوتاج ومؤسسات ترويجية في إسرائيل وتنظيمات ومنظمات تجمع الأمور لها. وفي عام 1976، عقد آخر المؤتمرات الإصلاحية التي أعادت صياغة العقيدة اليهودية في سان فرانسيسكو، ونلاحظ في قراراته أنها تُثبَّت على استمرار الاتجاه نحو تعميق العيد القومي. فالحقيقة الأساسية في حياة اليهود، حسب قرارات المؤتمر، هي الإبادة النازية، الأمر الذي يدل على الاتجاه نحو تدمير لاهوت موت الإله ولافهوت ما بعد أوشفيتس. وقد بدأت اليهودية الإصلاحية تتجه نحو محاولة التمزق ببعض الشعائر اليهودية بقدر الإمكان. ومع هذا أعيد تعريف اليهودي بحيث يصبح "من ولد لا يهودي أو أم يهودية"، وأصبح الزواج المختلط شرط أن يكون الأبناء يهوداً. وقد أدخلت كل هذه التعديلات بسبب الرغبة في البقاء (أي التزاماً بالبوح البوح). وقد صدر، في عام 1975، كتاب إصلاحي جديد للصلوات يُسمى "بوابات الصلاة"، وهو كتاب تمثِّل فيه الأتجاهات الصهيونية السابقة وقد صدر لحول الكتاب الذي صدر في عام 1941.

وفي عام 1988 أصدرت أرتسينو بياناً بحثد موقفها من الصهيونية فاكدت أهمية إسرائيل بالنسبة لليهود العالم ولكنها أكدت أيضاً التعدادية في حياة اليهود، وهي تعددية لا تستبعد العلمانية الشاملة، ولذا فهي تؤيد كلاً من الديانسوري والهجرة الاستيطانية، وطالب البيان حكومة إسرائيل بأن تبتعد عن القمع الديني.
والعنف السياسي، ودافع عن حقوق العرب ودعا إلى حل سلمي للصراع العربي الإسرائيلي، مبني على الضمانتات والتفاهمات المتبادلة.


٢- اليهودية المحافظة

رغم أن اليهودية المحافظة رد فعل للبيهودية الإصلاحية، فإن ثمة عنصرًا مشتركًا أساسيًا بينهما فهما يهددان إلى حل إشكالية الحقول الإلهية في الشعب اليهودي ومؤسساته القومية.

والمحافظون ينادون إحداث تغيير دون الإخلاص بروح الفولك اليهودي، وهذا هو الجوهر اليهودي أو المطلق موضع الحقول الذي ينبغي الحفاظ عليه. وهذه الرغبة في التغيير مع الميل إلى المحافظة تسمى كل أفكارهم. فهم يؤمنون على اختلاف اتجاهاتهم بأن الشعب اليهودي قد تطور عبر تاريخه، وأيًا اليهودية لم تتحجر

٩٤
ابداً، وأنها كانت قادرة على التكيف مع اللحظة التاريخية ومع روح العصر، 
ولهذا فهي ليست مجموعة ثابتة من العقائد وإنما هي تراص أخذ في التطور 
التاريخي الدائم، ومن هنا كان إطلاق اسم "اليهودية التاريخية" على هذه المدرسة 
خصصياً في أوروبا. وبربر المحافظون أن دراسة اليهودية بشكل تاريخي ونقدي 
(علم اليهودية) هو تطور إيجابي يساعد اليهود على فهم أنفسهم، كما يساهم 
في جعل اليهودية نسقاً دينياً خالقاً كما كان الحال في الماضي. ومع هذا، فقد 
وافقت اليهودية المحافظة ضد النزاع الديني الإصلاحي، فنذكر زكريا فرانكل، 
شانه في هذا شأن هيرش الأروذزكسي، وأن الصراعات بينهم وبين الأصوليين أنهم 
من رواد الشعب العضوي (المطلق الجديدي). ورغم أن فرانكل والمحافظون كانوا من المؤمنين 
بأن النزاعات أو النزاعات الدينية خلافية ابتداعًا الحاخامات لكي يضقوها مسحة من 
الشريعة على ما أقره الإجماع الشيعي، ورغم أنهم رأوا أيضًا أن النزاعات الدينية 
اليهودي ليس مرسلاً من الإله، فإنهم لم يتخذوا موقفاً قديماً من النزاعات أو النزاعات 
اليهودي كما فعل الإصلاحيين، لأنهما كلاهما تعتبر عن الشعب اليهودي 
وعبرته. وقد اقترح المحافظون، والذين الحاخام الكهفاني شعرت عند ترك 
الأمر في أيدي قلة من رجال الدين يقومون بتفسير الشريعة كيفما شاءوا، ودعا 
إلي وجوه أن يقوم معكم من يمثلون الشعب اليهودي وينطقون باسم الجماعة. 
وتتناول هذه الجماعة التي تمثل كل أو عضو إسرائيل (بالعبارة: كلل يسراeil) أن 
تكتشف اليهودية بدراسة التراص والتفاقيد والداب اليهودي.

وتطلبناً لهذا الموقف اليوسبي بين اليهودية الإصلاحية والأروذزكسمية، يؤمن 
المحافظون بأن الأمثل في العودة إلى صهيون فكرة إثارة لدى اليهودي لأبد من 
المحافظ عليها. ومع هذا، لا يتفق هذا الأمثل، بأي حال، مع الولاء للوطن الذي 
يعيش فيه اليهودي. وهم لا يؤمنون بالعودة الفعلي والشخصية للماشيحة، 
وبطرورة بدلاً منها فكرة العصر المشيخاني الذي سيتحقق بالتدريج. ويصبح 
تأسيس الدولة اليهودية، داخل هذا الإطار، خطوة أولى نحو تحقيق هذا العصر. 
وبرب المحافظون أن تكون العلاقات اليهودية بالعبرية، وإن كانوا لا يبالكون في أن 
تكم باللغة الإنجليزية إذا لم الأمر. ويؤكد المحافظون أن الشريعة مزروعة لليهودي، 
وبالتالي ضرورية للحفاظ على شعائر اليهودية، فمثل اليهودية العليا يتم تفسيرها
من خلال الشريعة. كما أن اليهودية تدور حول الأوامر والنواحي التي تغطي السلوك الإنساني وتحكم العلاقة بين اليهود من جهة، وبينهم وبين الأئلة من جهة أخرى. ولكن، مع هذا، لا بد أن تظل الشريعة مرنة مرونة قافية بحيث تترك مجالًا للتغيير والتعددية الفكرية التي تجعلها قادرة على مواجهة العصر الحديث، وعلى سد حاجة الإنسان اليهودي الحديث. ولذا، لا بد أن نستند عملية تفسير الشريعة بقدر عالم من الإبداع. ويتبعت هذا الموقف في أنهم لا يمنعون في إدخال بعض التعديلات على الشعائر الدينية (فيقيمون بعض طقوس السنة)، ولكنهم يسمحون باختلاط الجنسين (وأصبحت النساء جزءًا من النصبات [منيان] المطلوبة في إقامة صلاة الجماعة)، بل يسمحون بأن تكون هناك من الإناث حاميات ومنشدات (حراز). وقد أبقوا على المحتات وقوائمهن الطعام، وإن كانوا قد أدخلوا بعض التعديلات عليها. وهم يقيمون الصلوات بشكل الصلاة (طالبين) وتأمين الصلاة (تأمين).

ورغم تمام الآثار الفكرية لليهودية الإصلاحية والمحافظة، فإن تشاؤم اليهودية المحافظة يبني مع اليهودية الأرثوذكسية وضح وقوي. بل إن الفروق بينهما طفيفة وغير جوهرية، فكلهما ملدور في إطار الحولية التقليدية دون أن تتوسع نطاقها لتضمن غير اليهود (كما فعلت اليهودية الإصلاحية). ولذا، نجد أن كلًا من اليهودية المحافظة واليهودية الأرثوذكسية تؤمنان بالثالوث الخالص: الإله (أو الثورة)، والشعب، والأرض. وعلى حين يؤكد الأرثوذكس أهمية الإله والرحيمنات، والشعب، وإن اختلاف المحافظين يبرزهم أهمية الشعب وتراثه وتراثه، أي أن الأخلاق ينصرف إلى تأكيد أحد عناصر الثالوث الخالص على حساب عنصر آخر. وضمن كلا الفريقين هالة من التقاليد على حياة اليهود وتراثهم، وهي قداسة يجمعها الأرثوذكس إلى أصول إلخية ويرجعها المحافظون إلى أصول قومية أو إلى روح الشعب (وكلالين يسرائيل هي في الواقع الفنون التي تحتوي عليها الفكر الرومانسيا الألماني)، ويصبح الدين اليهودي فلكلور الشعب اليهودي المعبر عن هويته الإثنيّة وسربئاته، كما أنه يكتسب أهميته بمقدار مساهمته في الحفاظ على هذا الشعب المقدس.

وقد عادت اليهودية المحافظة، بتحيزها الشعوب إلى مصدر للإطلاق وموضوع للقداسة، إلى واحدة من أهم الطبقات في التركيب الجيولوجي اليهودي، وهي
الطبيعة الحقلية التي أدت إلى واقع أن الإله لم يتمتع قط بالمركزية التي يتمتع بها داخل الأنساق الدينية التوحيدية، فهو يترجح بالشعب والأرض ويتباين معهما. وتميل الكففة داخل النسق الحقلية بالتدريب لصالح الشعب على حساب الإله حتى يصبح الشعب وتراثه (لا الإله) مصدر القداسة، وبالتالي يصبح جوهر اليهودية بقاء اليهود، ويظهر داخل اليهودية لأهوه البقاء أو لاهوته ما بعد أوشفيتس.

وقد عُرِفت اليهودية المحافظة اهداها بأنها الإسرار على وحدة إسرائيل الكاثوليكية العالمية، والإسرار على المحافظة على استمرار التراث اليهودي والاهتمام بالدراسات اليهودية. فهذا هو الجوهر، أما ما عدا ذلك من عبادات وعقائد، فإنّه يظهر بشكل عضوي وتلقائي متعدد.

ولرغم أن المذهب المسيطر على الحياة الدينية في إسرائيل هو اليهودية الأرثوذكسية إلا أنّنا نرى أن الفكر الصهيوني يشبه في كثير من الوجهات نظرية اليهودية المحافظة، فكلاهما ينتمي مقولات اليهودية الأرثوذكسية الحقلية بعد أن علمنا كل منها على طريقة. فينما يؤكد الأرثوذكس الأصول المقدسة الرحبية للتراث اليهودي، يرى المحافظون أن تراث مقدس، لا يعترف به بصورة القداسة. وعلى حين بلغ الأرثوذكس التاريخ الزمني كلياً لا يدورون إلا داخل إطار التاريخ المقدس، فقد أن المحافظين يتحدثون عن تاريخ يهودي لا يختلف كثيراً عن التاريخ المقدس. وبينما يصر الأرثوذكس على مقولات الدين اليهودي هو القومية اليهودية وعلى أن القومية هي الدين، يحاول المحافظون تمييز هذه الحقوقية والتحكيف من حدثها بعض الشيء بالحديث عن الروح المقدسة للشعب، وجعلها مصدر القداسة بدلاً من الإله، وكذلك بالحديث عن اليهودية كخليل من العقيدة الدينية والهوية الإنسانية، وهو خليط أخذ يتطور منذ القدم حتى الوقت الحاضر. وهكذا، فإنّنا نجد أن اليهودية المحافظة هي الحفالة اليهودية التقليدية، بعد أن تم ترجيح كففة الجانب اليهودي على الجانب الإلهي، وهذا هو جوهر الصهيونية أيضاً.

وقد ارتبطت اليهودية المحافظة بالصهيونية منذ البداية، ويمكننا أن نسج الصهيونية الثقافية، التي كان يدعو لها آحاد همام، ضروبًا من ضروب اليهودية المحافظة (وكذا تجديدية كابلان وحوارية بوير). وبالفعل، تبنّت اليهودية المحافظة رؤية آحاد همام للجماعات اليهودية في العالم (الدياسبورا) ورفضت المفهوم وا٨٧
الصهيوني الخاص بضرورة نفي الديانة (أي محوها أو استغلالها) ، وطالبت
بالتزامنها واحترام تراثها التاريخي . وكلما يجمع هؤلاء المفكرين هو إيمانهم
باختلاف التاريخ اليهودي عن تاريخ بقية الشعوب ، فهو تاريخ مقدس يضمن
عناصر دينية ، فهو موضع الحلول الإلهي ، كما أن الدين اليهودي دين تاريخي
يتضمن عناصر ذكورية (والواقع أن تداخل المقدس والذكوري هو أساس بنية الفكر
الصهيوني).

وعلل ذلك التقابل الواضح بين اليهودية المحافظة والصهيونية واضح تماماً في
موقف زكريا فرانكل وبن جوريون مما يُسمى "التراث اليهودي" . ففرانكل يرى أن
الدين اليهودي هو التعبير الدينى عن روح الأمة اليهودية ، وهو مبادلة إجماعها
الشعبي العام . ولذا ، يجب الخطر من حالة إذا كان القانون من أصل سماوي أو
أرضي ، فعمادة القانون يعبر عن هذا الإجماع الشعبي العام فيجب أن يبقى ساري
المفعول . ويشبه هذا الموقف ، في كثير من الوجهاء ، موقف بن جوريون من
إبسطورة العهد الذي قطعه الإله على نفسه يمنح اليهود أرض كنعان ، فبالنسبة لبني
جوريون لا يهم إذا كانت هذه الواقعة حقيقة إلهية أم لا ، فالمهم هو أن تظل هذه
الأبسطورة مغروسة في الوجدان اليهودي ، ولذا يجب أن يبقى سارية المفعول حتى
بعد أن تثبت أن الوعيد المقطوع مجرد أسطورة شعبية ليس لها أي مصدر إلهي .
وقد بدأت اليهودية المحافظة تلعب دوراً تنظيماً نشطًا داخل الحركة الصهيونية ،
وتاسعت منظمة محافظة صهيونية هي منظمة مركز (اختصار عبارة "موقفنت
تو راي أفيم كونسرفانتيف زابونيزم
أي "حركة إعادة تأكيد الصهيونية المحافظة").

وقد أصدرت الجمعية الأمريكية للحاسبات قرارًا للمعابد اليهودية المحافظة
بالانضمام إلى المنظمة الصهيونية العالمية بشكل جماعي ، ويلاحظ أن اليهودية
المحافظة بدأت تحقق نجاحاً ملحوظاً في إسرائيل في الوقت الحاضر . وقد أنشئت أول
ابشرية محافظة في فلسطين عام 1956 . ولكن حتى أوائل السبعينيات ، لم يكن
في إسرائيل سوى عدة معابد يهودية محافظة ، ومركز للطلبة اليهود الأمريكيين ،
نفيه شيخرة ، وهو يعد الفرع الصهيوني لكلية اللاهوت اليهودية . ولكن ، بعد
ذلك التاريخ ، بدأت محاولات جادة لتوسيع نطاق الحركة ليشمل التجمع
الصهيوني كله . وبدأت المحاولات بالفشل حتى أوائل الثمانينيات ، حين ظهرت

98
حركة ماسورتی (أي التقليدية) التي أُسست عام 1984 معاها الأساسية ومنها المعهد العالي للدراسات اليهودية الذي يعد الدارسين الإسرائيليين ليعملوا حاخامات محافظين، وحركة نواب الشباب ومعسكرات صيفية ومدارس وكيبوتس وموشاف وفرق نحلا. وتتكون هيكل حركة ماسورتی التنظيمي من معبد إسرائيل المتحدة وينضم قيادات الأبرشيات، ومجمع إسرائيل الحاخامي ويشمل حوالي 100 حاخامي ماسورتی. ويبلغ عدد أعضاء الحركة حوالي عشرة آلاف وتوجد الآن نحو أربعين أبرشية محافظة. كما تجح الحركة في تأسيس مدارس تالي، وهي مدارس تعكس أيديولوجيا الحركة، ولا تنتمي هذه المدارس أي عون من الحكومة الإسرائيلية بسبب عدم اعتراف المؤسسة الأرثوذكسية بها.

وقد أصدرت حركة ماسورتی بياناً رسمياً عام 1984 يحدد موقفها. وبعد عامين، أصدر المجلس الحاخامي بياناً أكثر شمولًا يعكس اهتمامات الحركة في الولايات المتحدة. وقد لوحظ وجود اختلافات مهمة بين ما جاء في هذا البيان وموقف حركة الماسورتی، وخصوصاً فيما يتعلق بدور إسرائيل بين يهود العالم.

3 - اليهودية الأرثوذكسية

اليهودية الأرثوذكسية هي اليهودية الحاخامية العلمية وهي أيضاً الأصولية اليهودية، وتنطلق هيرش والأرثوذكس من نقطة ثبات ميتافيزيقية تقع خارج نطاق الطبيعة، وهي أن الإله الوحيد إلى موسى التوراة فوق جبل سيناء، وتمثل هذه النقطة بالنسبة إليهم حقيقة لا يمكن مناقشتها أو الجدل فيها، وهي مسألة ثابتة ذات معنى عميق وثابت يلغي أي معنى آخر يختلف عنها، فهي ركيزة النسق الأساسية ومرجعية المتجاوزة.

الهجرة، حسب تصور الأرثوذكس، كلام الإله كتبها حرفًا وأوحي بها إلى موسى، وهذه حقيقة يؤمن بها المؤمن إن كان لله خلق العالم من العدم، والمؤمن لا يعرف كيف خلق الله العالم ولا كيف كتب التوراة وأوحاها. وهناك في صفوف الأرثوذكس من يعطي دورًا للنصرات الذاتي في التجربة الدينية ولكنهم جميعًا يؤمنون بحقيقة الوحي الإلهي وأن التوراة منزلة من الإله، ولذا فهي وحدها مصدر الشريعة، قيمها خالدة أزلية تنطبق على كل العصور، ولا التوراة لم تُنفَّ.
وجود جماعة يسرائيل، وعلى الشعب اليهودي اتباع هذا الكتاب المقدس إلى أن يأتي وحيد جديد. وقد نادى الأرثوذكس بعدم التغيير أو التجديد أو التطور، لأن عقل الإنسان ضعيف لا يمكنه أن يعلو على ما أرسله الله، ولان التطور سيودي
حتماً باليهودية.

لكنهم مع هذا يختلفون حول تحديد أي أجزاء من التوراة هي التي أوحي بها الإله مباشرة. وثمة إجماع على أن أسفار موسى الحكيمة مرسلة من الإله، وبعضهم يوسع نطاق القداسة لتشمل كتباً أخرى من العهد القديم وهناك من يوضع نطاق القداسة ليس كتب الشريعة الشفوية.

وهناك من الأرثوذكس من يميل نحو تفسير التوراة تفسيراً حرفيًا، ومن يؤمن
بان التاريخ الذي ورد فيها تاريخ حقيقي بالفهم المادي، ولكن هناك من يرى أن ما ورد في التوراة ليس حقائق تاريخية، وإنما فلسفة تاريخ (ولذا نجد أن هناك من الأرثوذكس من يصر على أن عمر الأرض هو كما ورد في العهد القديم). ولكن هناك من لا يجد أي صعوبة في قبول الحقائق العلمية (الخاكم مناحم منديل كاشر).

أما فيما يتعلق بالأجزاء القانونية (التشريعية) فهنالك من الأرثوذكس من يرى أن تصرفات أزلية ثابتة، ولكن هناك فريق يشير إلى أن التوراة الشفوية نفسها
دليلاً على أن بعض القوانين الدينية ليس أزلية.

ولكن الأرثوذكس لا يؤمنون بالعهد نفسه، ولهذا باعتباره مستودع الكشف
الإلهي، وإنما يؤمنون أيضًا بالتوراة (أو الشريعة) الشفوية. ويكل كتب اليهودية
الخاكمية، مثل التلمود والشلومان عاروخ بل وكتب القدماء، أو على الأقل
التفسيرات القبلية، وهي التفسيرات التي خططت النص التوراتي باعتبار أن
الشريعة الشفوية تجعل الاجتهاد البشري (الخاكمي) أكثر أهمية وإلزاماً من النص
الإلهي.

ويعتقد الأرثوذكس اعتقاداً حرفيًّا بصحة العقائد اليهودية الحولية، مثل:
الإيمان بالعودة الشخصية للمشياخ، والعودة إلى فلسطين، وبناء اليهود هم
الشعب المختار الذي يجب أن يعيش ممتعلاً عن الناس لتحقيق رسالته. وبسبب
قداسة هذا الشعب، نجد أن الأرثوذكس يعارضون أي أنشطة تبشيرية، فالاختيار
هو نتيجة للحلول الإلهي، ومن ثم فهو أمر يُؤثر. ومن هنا، تنقسم اليهودية
الأرثوذكسية بالتعريف الحاخامي لليهودي باعتبار أنه من ولد يهودية أو يهود
حسب الشريعة أي على يد حاخام أرثوذكري. وعبارة الخلوية عن نفسها دائماً
من خلال تراتيج مفرط في الشعراء التي تفصل الشعب المقدس عن الأغيار.
واليهودية الأرثوذكسية تؤمن بأن الأوامر والدعاوي ملزمة للهودي الذي يجب أن
يعبد صياغة حياته بحيث يجسد هذه الأوامر والدعاوي، وهي في إيانها هذا لا
تقبل أي تغيير بين الشرائع الخاصة بالعقائد وتلك الخاصة بالشعائر. ومن هنا
التزامها الكامل بالتمسك بالشعائر، فبعض الأرثوذكس يطالبون بعدم تغيير
الطريقة التي يرتدي بها اليهود ملابسهم أو يقضون شعرهم. ولا تزال النساء في
بعض الفرق الأرثوذكسية يحملن شعورهم تماماً عند الزواج ويلبسن شعرًا مستعارا
بدلاً منهن. وهن من يستخدمون العمرة في صلواتهم، ولا يسمحون باختلاط
الجنسين في العبادات.

وبحاول الأرثوذكس (كمجموعة دينية) الانفصال عنبقية الفرق اليهودية
الآخر حتى يمكنهم الحفاظ على جوهر اليهودية الحقيقي دون أن تشوه شواب
ولكن هذا الموقف يتغايوك هناك من غير الأرثوذكس ولكن هناك من
يطالب بحبهم والدفاع عنهم.

ويمكن تفسير الفكر اليهودي الأرثوذكسي تفسيراً معادياً تماماً للصهيونية.
فإن الإمام بالعودة الشخصية للمشايخ يعني الانتظار في صبر وانتظار إلى أن يُ(sin الله بالعودة. وعلى المؤمن الحق أن يقبل المنفي، إما عقاباً على ذنب يسرير أو
كجزء من التكليف الإلهي، وعليه لا يحاول التعجيل بالناهية (دحيكات
هاكزيس). وقد كانت الفرق الأرثوذكسيّة معادية للصهيونية في بادئ الأمر.
ولكن هذه الأرثوذكسية تمت صهيونتها على يد بعض الخاخامات الأرثوذكس
وخصوصاً الحاخام كوك (ومن قبله كاليفشر والقلعي). وكانت متنتالية الخلاص في
الماضي تأخذ الشكل التالي:
نفي - انتظار - عودة الشعب
أما الآن، فإن المتنتالية الجديدة المفترضة هي:
نفي - عودة أعداد من اليهود للتمهيد لوصول الماشيحة - عودة الماشيحة مع بقية الشعب.

ومن هنا، تمت صهيونة الأرثوذكسيّة (وخصوصاً بعد عام 1997)، ولم يبق سوى فريق الناطوري كارنا الذي يدافع عن الرؤية الأرثوذكسيّة التقليدية في صهيونتها. وعملية الصهيونية هذه ليست أمراً غريباً، فالرؤية الحضارية في إحدى مراحلها، تخلع القداسة على الشعب وإرادته. ولذا تبعت الإدارا الإلهية وتراجع وتصبح من حق اليهود أن يعجلوا بالنهاية. وعلى كل، فإن المنظومة القبائلية التي يؤمن بها الأرثوذكس تجعل توجد الذات الإلهية واكتشافها مرهوناً بإفعال اليهود وصدى إفراطهم الشعائري.

وتساعد اليهودية الأرثوذكسيّة قوتها من قوة اليهودية الأرثوذكسيّة في إسرائيل ومؤسساتها، فهم الفريق الوحيد المعترف به في الدولة الصهيونية. ومعظم اليهود الأرثوذكس أعضاء في جمعية أجودات إسرائيل، أو في حركة مزراحي. والأولى لا تؤيد الصهيونية وغير مُمثلة في المنظمة الصهيونية العالمية، ومع هذا فلها أحزابها في إسرائيل، وممثلوها في الكنيست. أما المزراحي، فقد ساهم منذ البداية في النشاط الصهيوني، وقد كشف النقاب مؤخراً عن أن هرتزل (اللامبيتي)
كان وراء تأسيس حركة المزراحي، وأنه دفع نفقات مؤتمر المزراحي الأول من جيبه.

ومن أهم الشخصيات اليهودية الأرثوذكسيّة، سولوفيتشتش رئيس شرف حركة
مزراحي، وإليعازر بركوفيتس الذي يرى أن إنشاء دولة إسرائيل له دلالات أخرى
عميقة.

وتسبيطر اليهودية الأرثوذكسيّة على الحياة الدينية في إسرائيل، فهي تسيطر
على دار الخانمومة الرئيسيّة، وعلى وزارة الشؤون الدينية، وعلى الأحزاب
الدينية، مثل: مزراحي، وعمال مزراحي، وأجودات إسرائيل، وعمال أجودات
إسرائيل، وسماح وديجيل هاتورد وإيفان. وهي احتراز تميز سلطة لا تناسب
بادية حال مع إجماعها الحقيقية، وذلك لأن الحزب الحاكم يدخلها الائتلافات
الوزارية التي تمكنه من البقاء في الحكم. وهو ي (***) تيار ذلك، كثيراً من
التنازلات التي تطلب بها. ومن أهم هذه التنازلات، عدم اعتراض الدولة حتى
الآن بالزيادات المُختلطة، أو الزيادات التي لم يشرف عليها عقدها حاخامات
ارثوذكس، وتركتها تعريض من هو اليهودي في بد المؤسسة الأرثوذكسيّة.
ولا تعترف المؤسسة الدينية الأرثوذكسية في إسرائيل باليهودية الإصلاحية أو المحافظة، ولا بحاخاماتها، ولا بالزيجات التي يعفون بها، ولا بدراسات الربوبية التي يقومون بها. فهم يجعلون سهلة بسيرة على عكس طقوس اليهود الأرثوذكسية وتثار هذه القضية من آونة إلى آخرى، حينما يطرح قانون القيامة للنقاش، فهم القانون الذي يتضمن محاولة تعريف اليهودية الإصلاحية. إذ تجاوز المؤسسة الأرثوذكسية أن تضيف تعديلًا (عبارة "من تهود حسب الشريعة"، أي على يد حاخام أرثوذكسي) وهو ما يعني استبعاد الحاخامات الإصلاحيين والمحافظين وكل اليهود الذين يهودوا على أيديهم. ويدعو زعماء اليهودية الإصلاحية إلى أن تكون المساعدات التي تخصص للمؤسسات الإصلاحية في إسرائيل متناسبة مع حجم تبرعات اليهود الإصلاحيين، إذ أن معظم التبرعات يدفعها يهود غير أرثوذكس، ومع هذا ينص معظمها في المؤسسات الأرثوذكسية. وقد بدأ بعض زعماء اليهودية الإصلاحية، مثل ألكسندر شترادل، في محاولة الاحتفاظ بمسافة بينهم وبين الدولة الصهيونية، وخصوصًا بعد حادثة بولارد وبعد الانتفاضة. وهم يؤكدون مركزية الدياسبورا (المجتمعات اليهودية خارج فلسطين) مقابل مركزية إسرائيل، كما يحاولون تغلب الجانب الديني على الجانب القومي. وتوزع دار الخلاصية منشورات تحذير الناس من ادعاء الصلوات في المعابد التابعة لحركة ماسورتي وتخبرهم أن مثل هذا الأمر يعد محرماً.
من هو اليهودي عام 1998؟

يرفض الأرثوذكس كلاً من الإصلاحيين والمحافظين ويتطلع على موقف الرفض هذا أنه موقف "أصولي". كلمة "أسلوب" هي ترجمة حرفية لكلمة Fundament فاندامنتاليزم Fundamentalism، وهي مأخوذة من كلمة فاندامتنتم "الأسس" أو "الأصل" (من اللغة اللاتينية، كلمة "فاندامانتم" تعني "أساس")

وكلمة "أسلوبية" الإنجليزية استُخدمت أول ما استُخدمت في سياق مسيحي، وتعني "حركة بروتستانتية أمريكية" تهدف إلى إعادة تأكيد بعض ما يتصور أنه عقائد ثابتة واسعة مسبقة مثل قديمة الكتاب المقدس وأنه صائب تماماً (بل قد ارتبطت كلمة "أسلوبية" بالتفسير الجزئي والشامل لنصوص الكتاب المقدس)، والإيمان بالمعجزات (وخصوصاً الحلم بلا نص) والبعث الجسدي للمسحي. ثم طبعت هذه الكلمة على الأفكار الت乔治دية في الإسلام ثم الحركات الدينية المتطرفة في اليهودية. والأسلوبية الثلاث مختلفة تمام الاختلاف في مضمونها.

وعبارة "أسلوبية اليهودية" تُستخدم في الخطاب السياسي العربي والغربي، للإشارة إلى شكل من أشكال التطرف اليهودي عادة "الأرثوذكس" وترجم كلمة "أسلوبية" أحياناً إلى كلمة "متزمت" أو "متقدم" أو "متطرف" مما يعني تراف كل هذه المصطلحات مع لفظ "الأرثوذكس". وهذا خلل ناجم عن تطبيق مصطلح ديني، ثم اقتراحه من نسق ديني ما ثم تطبيقه على نسق ديني آخر.

ويرى مستخدمو هذا المصطلح أن هذه الأصولية تعود إلى الحاخام إبراهام كوك الذي كان يشغل منصب الحاخام الإسكنازي في فلسطين وأنها مستمرة حتى
هذه الأيام (على يد ابنه الحاخام تسفي كوك وغيره) ، بل إنها آخذة في التدامي . فقد بلغ عدد أعضاء الكنيست (الأصوليين) ، أي مثلي الأحزاب الدينية (المفدى وديجيل هاتوراه وشاس) 23 عضوًا ( مقابل 16 عضوًا في الكنيست السابق) من مجموع 120 عضوًا . وُجد هذه أكبر نسبة في تاريخ إسرائيل السياسي .

وهو الخيار الديني أصبح بمقدوره التحكم في رئاسة الحكومة وإسقاط الحكومات . ولا يمكن تشكيل أي حكومة دون مشاركته ( رغم أن أعضاء هذا التيار غير معنيين بالسياسة بالمعنى الضيق للكلمة فهم يهتمون ببيئاتهم بالدرجة الأولى ) وهم سياسيون وزراء المستقبل ( التعليم – الإسكان – الأراضي – المهاجرين – الأجانب ) ويتحكمون في وزارة حيوية مثل وزارة التعليم . ويُقال إنهم أصبح لهم نفوذ كبير داخل الجيش . فهناك حاخامية عسكرية تتولى مهمة التوجه الفكري والديني داخل القوات المسلحة ، وهي تباشر كل شؤون الأحوال الشخصية المتعلقة بالعسكرين ، وتشرف على المدارس العسكرية الدينية ، وتخرج أجيالًا مسكونة بالكراهية المطلقة للعرب ، كما تتولى الحاخامية إصدار الفتاوى التي تضفي القداسة على الممارسات والجرائم التي يترتب عليها الجوند ضد العرب . وقد أوصل هذا التغلغل داخل الجيش عدداً غير قليل من الضباط الأرثوذكس إلى مراتب عليا .

وفي استطلاع أجرته صحيفة يديعوت أحرونوت قال 47% من الإسرائيليين أنهم يتوقعون حدوث حرب أهلية بين المدنى والعلمانيين اليهود (وقد تكون هذه مباغة ، ولكنها "مبالغة دالة" إن صح التعبير) . وهي تقف الآن محتفظة بالحرم والشراسة ضد أي انسحاب من الضفة والجولان ومع الاستيطان وطرد العرب ، وهم مستعدون للذهاب في سبيل الدفاع عن موقفهم هذا إلى أبعد مدى . ولا تنس أنهم يعتبرون باروخ جولدشتاين منفذ مجزرة الحرم الإبراهيمي قدماً ومثلًا أعلى يجب الاحترام به.

والإجراءات الأساسية لهذه "الأصولية" - حسب تصور من يستخدمون هذا المصطلح - كما يلي :

1 - إنشاء دولة إسرائيل هو تسديد للحلم التوراتي اليهودي القديم، رغم أن الحركة الصهيونية نفسها، المؤسسة للكيان الصهيوني، لم تكن حركة دينية ، وإن
لا يمكن القول ليست بالضرورة مقتولات دينية وعثمان لا حي علماني أو يثبتها، وبالتالي تجد أن اليهود (المؤيد لنتانياهو) يضمن في صفوف متدينين قوميين وعلمانيين. فهو يضمن (كم日凌晨نا) انحوار دينية مثل حزب المفدحة وشام وديجيل هاتوراه، ولكن أيضاً أحزاب موليديت وكاح وإسرائيل بuales وعامرة. حزب إسرائيل يعالوه هو حزب الصهاينة المتزلفة، أي المهاجرين السوفييت الراغبون في تعزيم مستواهم المعيشي، أما حزب تموز، فهو حزب صهيوني لا ديني، ولا يمكن الحديث عن نتانياهو أو عن جلبه باسره، باعتباره متدينًا، ولعل هذا ينتج صعوبة بالغة في استخدام هذا المصطلح، نظرًا لعدم دلالته وتفسيره.

لا يوجد من القول بأن المقالة المجلية التشريمية للتراكيمية اليهودية تثير الشيء وعكسيه، فهي على سبيل المثال تثير الاستياء على الأرض وعلى إعادتها للعرب في سبيل الخلاف على النفس اليهودية "بيكوج نيفيش". كما يمكن القول بأن اليهودية الخاضعة حاولت، بشكل عام، محاربة النزعة المشيخانية ولذا جعلتها متوسطة بشيئة الإله، والعودة الشخصية الفعلية (دون انترنت أوام الإله وتعاليمه) يعد ارتكابًا خطأ في "دحيات هاكس" أي "الصحيح بالنهاية" ولذا فالاأرثوذكسية تثير "العودة" وتمرورها في آن واحد، ورغم التأييد الأرثوذكسي للاستياء على الأرض فقد أحجم الخاذم شنيسون عن إقام رحلته إلى فلسطين.
قال في السماء شهودي، لو كان الأمر بيدي لحثت الخطيئة هكذا يقال [إلى فلسطين] كالكثيرين حينما يخرج من قومه. ولكن لم يفعل، فشعورية أن يفسر الصهاينة رحلته هذه على أنها قبول لرؤيتههم. مما أن الخاايخ هارشف، زعيم الناطوري كارتا، امتعب عن زيارة حائر المبكي، رغم أنه كان يعيش على بعد خطوات منه.

ويلاحظ أن اليهودية الإصلاحية والمحافظة بدأت تصل إلى إسرائيل وقد تزايد عدد التابعين لها، هذا في الوقت الذي وصل فيه عدد الإصلاحيين والمحافظين المتدينين في الولايات المتحدة حوالي 85% من عدد يهود الولايات المتحدة المتدينين. ويجب أن نذكر أن اليهود الملتدين (وأكثر من المتدينين) في الولايات المتحدة ينصرون على فصل الدين عن الدولة (متبعين في ذلك مجتمعهم ماندين بذلك باعتبارهم أعضاء أقليات يرون أن ذلك في مصلحتهم)، أما اليهود الملحدون فهم لا يكثرون أساساً بالدين، وهم أعضاء أغلبية وذا فهم لا يناعون في أن يسيطر الآرثوذكس على جميع مناحي الحياة (وخصوصاً أن مثل هذا الاستعراض الديني يزيد من شرعية الدولة وشرعية الاستيلاء على الأراضي).

وقد أدّى هذا الوضع إلى فقدان الاتزان على مستوى يهود العالم، فبينما ترى أغلبيته الدايسبورا (التي تهيمن على المنظمة الصهيونية) ضرورة فصل الدين عن الدولة، تحاول المؤسسة الآرثوذكسية في إسرائيل أن يلعب الدين دوراً أساسياً في حياة الفرد الخاصة والعامة بل أن يتحكم الدين في الحياة الخاصة للمواطنين، وأن تقوم هي بتعريف من هو اليهودي والفوانين الخاصة بالعلاقة الدينية بين الفرد والمجتمع. لكل هذا لا تعترف المؤسسة الآرثوذكسية - على سبيل المثال - برؤايس اليهود الذين يجريها حاخامات إصلاحون أو محافظون، كما لا تعترف برؤايس الزواج التي يجريها (وذلك يعني، في واقع الأمر، أن كثيراً من الزيجات التي تمت خارج إسرائيل «غير شرعية» وأن الأطفال، ثمرة مثل هذه الزيجات، مأزاهم، أي غير شرعيين).

وقد جرى تمرير قانون في الكنيست يلغي الاعتراف بعقود الزواج التي يجريها الحاخامات التابعون للشيع الإصلاحي والمحافظ. ومع أن القانون مر في المرحلة الأولى (من أربع مراحل)، فقد غضب اليهود الإصلاحيون والمحافظون بشدة وشهدوا علانية بقطع المساعدات والتبرعات عن إسرائيل. فاتصل نتنياهو شخصياً
يرأسهم ودعاهم للقاءه في مكتبه (في القدس). وأخبرهم أن تمير القانون في القراءة التمهيدية لا يعني أنه سيتصفح. وقال إنه قرّ إقامة لجنة تضمن المسؤولين من كل الشيالات الدينية في إسرائيل لتبث الموضوع وتوصّل إلى قرارات وحلول ترضي كل الأطراف.

والفعل تم تشكيك لجنة براسها وزير المالية بعقوبة نعمة لإنشاء محكمة تفصيل في حالات اعتناء اليهودية داخل إسرائيل. وقد ورد زعماء الإصلاح والمحافظة بالتوافق عن الهجوم على الحكومة الصهيونية أو القيم باية إجراءات قبل أن تنتهي اللجنة عملها، وكان نعمة قد اقترح إنشاء محكمة مشتركة تضم ممثلين عن اليهود المحافظين والإصلاحيين على أن يرأسها حاكم من اليهود الأرثوذكس. ولكن الأرثوذكس (في الحاخامية الكبرى) رفضوا هذه المقترحات تماماً. ووصف قادة الإصلاحيين المحافظين قرار الحاخامات الأرثوذكس بأنه سيؤدي إلى انقسام خطير في صفوف اليهود، ويهدد مستقبل حكومة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنياميم نتينياهو.

وفي المقابل، أعرب اليهود الإصلاحيون المحافظون عن شعورهم بالصدمة، وقال الحاخام إيهود باندل، رئيس الحركة المحافظة في إسرائيل، إن رفض المشددين للتسوية بمثلة إعلان حرب ضد الشعب اليهودي. وأكد الحاخام يوري ريجيف رئيس الحركة الإصلاحية أن الحاخامية الكبرى قد أغلقت الباب في وجه التسوية.

ثم وقعت مشكلة جديدة، إذ تم انتخاب امرأة، من التيار الدينى الإصلاحي، عضواً في المجلس الديني لمدينة نتانيا. وهو مجلس مؤلف من تركيبة حزبية (لكل حزب ممثل حسب نسبته في الانتخابات البلدية) وشعيبة (ممثلى الشعب) ودينية (مندوبين يعينهم مجلس الرئاسة الروحية الرسمية) وجاء تعيين "الحاخامة" جويس بيرن (وهي برفسير في اللاهوت) عن حزب ميرتس اليساري الصهيوني.

هذا الانتخاب أثار جون الأرثوذكس (فاليهودية الأرثوذكسية لا تقبل باشتراع النساء في صلاة الجماعة في المعبد ولا ببحاحامات إناث). فتوجهت الحاخامة الجديدة إلى المحكمة العليا واستصدرت أمرًا يميز التعدين. ووافق أنه قانوني ويارام وزير الأديان بالمضادة عليه. ولكـي لا يعتبر موقفه إدانة للمحكمة وقرارها، وهو أمر مخالف للقانون، اتفق نتينياهو مع قيادة شاس، أن يقبل وزير
الآديان (إيلي سويسا من حزب شاس) وتأخذ صلاحياته لمدة ساعة، يوقع خلالها بنفسه على كتاب التعيين، ثم يعيد الوزارة إليه. لكن هذا الحل لم يرض الآرثوذكس ولا حتى الخاخصين الأكبرين، فراحوا يهاجمونه ويتلونه مقاطعة كل مجلس ديني يضم امرأة أو يضم حاخاماً في إصلاحية أو محافظاً (بري الآرثوذكس أين هذين المذهبين يجب الألا يمثلان أساساً في مجالس الدينية).
فهرس

0 مقدمة
9 من هو اليهودي؟
10 اليهويات اليهودية بوصفها تركيباً جيولوجيًا تراكمياً
19 تاريخ اليهويات اليهودية حتى الوقت الحاضر
31 التعريف الديني للهويات اليهودية
35 الخريطة العامة للهويات اليهودية في الوقت الحاضر
39 الهوية اليهودية الجديدة في المجتمعات الغربة الحديثة
53 يهودي غير يهودي ويهودي بشكل ما
57 ادعاء اليهودية
59 أعضاء الجماعات اليهودية وقضية الهوية القومية
62 التعريف الصهيوني للهويات اليهودية
67 الهويات اليهودية والتناقض بين الرؤية الصهيونية والممارسة الإسرائيلية
79 استجابة أعضاء الجماعات اليهودية للتعارض الصهيوني للهويات اليهودية
87 الاختلاف من الفكر الديني، الإصلاحي، المحافظ، والفكر الأرثوذكسي
105 من هو اليهودي عام 1998

111
طابع الشروق
القاهرة: 8 شارع صبيحه المصري - ت: 020223949 – فاكس: 020275676
بيروت: م بي: 024808 - هاتف: 011586890 - فاكس: 0118187716
من هو اليهودي؟!

يواجه التجمع الصهيوني في فلسطين القلمية منذ تأسيسه عام 1948 قضية دينية/سياسية مركبة الأبعاد. متعددة المستويات. هي قضية الهوية اليهودية وتعرف اليهود، التي يشار لها في الخطاب السياسي والإعلامي الإسرائيلي والعرب، بعبارة "من هو اليهودي؟". ويحاول هذا الكتاب أن يقف الضوء عليها في منظور تاريخي واجتماعي ودبي.

يبدأ الكتاب بعرض تاريخي لظهور الهويات اليهودية المختلفة في أنحاء العالم، في罚款ية من الواقع الحاضر للمجتمعات التي يعيش أعضاء الجماعات اليهودية بين ظهرانيهما. ثم يقدم الكتاب خريطة للهويات اليهودية في الوقت الحاضر، وضمن ذلك الهوية اليهودية الجديدة في المجتمعات الغربية الحديثة والتعريف الديني الأرثوذكسي للهوية اليهودية.

ثم يعرض الكتاب بعد ذلك للأطراف الصهيونية التي تنطلق من أدلاء ليس له ما يسانده في الواقع وهو أن اليهود شعب واحد، وأن الصهيونية هي القومية اليهودية. ثم ببين الكتاب كيف أن الواقع الأشتي والعرقي للمستوطنين الصهيونيين في فلسطين المحتلة. يهدد العالم خارجها، يتحدى هذه الأطراف ويبين طبيعتها الاختزالية وكدتها وزيفها.

وفي هذه الطبعة الثانية من الكتاب أضاف المؤلف فصلين جديدين، واحد بعنوان "الاختلاف بين الفكر الديني الإصلاحي والمحافظ، والفكر الأرثوذكسي" والثاني بعنوان "من هو اليهودي عام 1998".

دار الشروق